صناعة الكتابة

فوائد مهمة وتوجيهات نافعة
في كتابة الرسائل وتأليف الكتب

أبو عبدالله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صِنَاعَةُ الكِتَابَةِ

قواعِدُ مُهِمَّةٌ، وتوجيهاتٌ نافعةٌ في كتابةِ الرسائِلِ وتأليفِ الكُتُبِ

تأليفُ
أبي عبدِ اللهِ
فيصلِ الحاشديّ

ما زلتَ تكتبُ في التاريخِ مُجتَهِدًا حتَّى رأيتُكَ في التاريخِ مكتوبا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرفِ المرسلين.

أما بعدُ:

لا يعرفُ العذرَ عن إسعافِ ذي أمل ... يومًا ولكنَّهُ يُعطي ويَعتَذِرُ

طلبَ مني إخوةٌ - يُحْسِنون بي الظَّنَّ -، أن أكتبَ رسالةً توضِّحُ سُبُلَ الكتابةِ، فأجبْتُهُم إلىٰ طلبِهم، ولسانُ حالي «مُكْرَهٌ أخاكَ لا بَطَلٌ» فلا أحَقُّ بالإسعافِ والإنصافِ من طُلَّابِ العلم!

وهَا هي الرسالةُ بين يديكَ سَمَّيْتُها: «صناعةَ الكتابةِ»، تأنَّقْتُ، وانتقيتُ، وسهَّلْتُ، وتلطَّفْتُ، وهذَّبْتُ؛ حتىٰ رضِيتُ.

ولما كان أحوجُ الناسِ إلىٰ هذه الصناعةِ طلبةَ العلمِ وأهلُهُ تَضَمَّنَتْ الرسالةُ بعدَ تمهيدٍ علىٰ ما يأتي:

أولهُما: في بيانِ صناعةِ الكتابة وهو بيتُ القصيدِ ومربَطُ الفَرَسِ.

وثانيهما: مُهِمَّاتٌ في تأليفِ الكُتُبِ العلميةِ.

وأسألُ اللهَ أن يتقبَّلها بقبولٍ حَسَنٍ، وأَنْ ينفعَ بها طلبةَ العلمِ المنتظرين من يفجِّرُ لديهمُ الطَّاقاتِ، وَأَنْ لا يَحْرِمَ الأمَّةَ من الإبداعاتِ إِنَّ ربي سميعُ الدعاءِ.

وكتبها/ أبو عبدِ اللهِ

فيصلُ بن عبده قائد الحاشديُّ

١١ ربيعُ الثاني ١٤٤١هـ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تمهيد

تعريفُ الكتابةِ

إنَّ الكتابـــة مـــرآةٌ لـــصاحبها ... فكلَّمـا خـاض فيهـا بـانَ واتَّـضحَا

فـاختر لنفـسِكَ مـرآةً نـراك بهـا ... إنَّ الإنـاءِ بمـا أودعْتَـهُ نَـضَحَا[١]

الكتابةُ لُغَةً:

مَصْدَرُ كَتَبَ يَكْتُبُ كتابًا وكَتْبَةً فهو كاتبٌ، قال ابنُ خَلدونَ: «الكتابةُ رسومٌ وأشكالٌ حَرْفِيَّةٌ تدلُّ علىٰ الكلمةِ المسموعةِ الدالةِ علىٰ ما في النفسِ»[٢].

وقال ابنُ العربيِّ: «وقَدْ تُكَلَفُ الكتابةُ علىٰ العلمِ ومنه قولُهُ تعالىٰ: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾» [الطورُ: ٤١] أي: يَعْلَمُون[٣].

الكتابةُ اصْطِلاحًا:

يُطْلَقُ علىٰ الكتابةِ فَنُّ الإنشاءِ قال الجرجانيُّ: «بِأَنَّها عبارةٌ عن إنشاءِ النَّثْرِ كما الشعرُ عبارةٌ عن إنشاءِ النظمِ»[٤].

٢- هل للكتابةِ قواعدُ؟

ألا إنَّمـــا العليـــا قواعـــدُ ســـؤدَدٍ ... لـك اللهُ أرسـاها فمـن ذا يُزيلُهـا[٥]

---

(١) قَالَه أُسْتَاذُنَا: عبد الكريم العمادِ - حفظهُ اللهُ -.

(٢) «مقدمةُ ابنِ خلدون» (٨٧).

(٣) صبحُ الأَعْشَىٰ (٥١).

(٤) التعريفاتُ (١٨٤).

(٥) ديوانُ حيدرِ الحليِّ (٨٣٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكتابةُ سهلةٌ يسيرةٌ، لمن يسَّرَ اللهُ عليه، فهي تختلفُ عن غيرِها من الفنونِ التي لها قواعدُ وضوابطُ، وإنما تحتاجُ إلىٰ توجيهاتٍ، وتنبيهاتٍ تجعلُها «بين الخُلَّبِ والكَبَدِ»(١).

قال محمدُ الحَمْدُ: «صناعةُ الكتابةِ ليسَتْ كغيرِها من الفنونِ لها قواعِدُها المضبوطةُ، ومسائِلُها المدوَّنةُ يتدارسُها الكُتَّابُ، فتنتهي بهم إلىٰ إمدادِ اليراعةِ بالبراعةِ».

وإنما هي تنبيهاتٌ ترشِدُ إلىٰ الجهاتِ التي تنمو بها قوي التَّفَنُّنِ في تصاريفِ الألفاظِ، والتأنُّقِ في تحسينِ هيئاتِها التأليفيةِ(٢).

٣- هل الكتابةُ موهبةٌ؟

وما لي لا أُحَيِّيْهِ وعندي ... مواهبُ يطَّلِعْنَ من النجادِ(٣)

ما من شَكٍّ أَنَّ الكتابةَ، عادةٌ تُكْتَسَبُ بالممارسةِ مَثَلُها مَثَلُ أي عادةٍ أخرىٰ، وإذا كان بعضُ كبارِ الكُتَّابِ قال: إنها موهبةٌ؛ فَإِنَّ أغلَبَهم يقولُ بِأَنَّ الموهبةَ في الكتابةِ لا تُمَثِّلُ إلا جُزءًا من عشرةِ أجزاءٍ؛ وأما التسعةُ الأجزاءُ الأخرىٰ فتتمثَّلُ في ممارسةِ الكتابةِ نَفْسِها في صَبْرٍ لا يعرفُ المَلَلَ.

كما تحتاجُ - فقطْ - إلىٰ بعضِ الاجتهادِ والبَذْلِ والهمةِ؛ وها أنا أسوقُ لَكَ ما يعينُك علىٰ صناعةِ الكتابةِ.

---

(١) «الخُلَّبُ» لحَمَةٌ لاصقةٌ بالكَبِدِ، والمثَلُ يُضْرَبُ للاهتمامِ بالشيءِ وفَهْمِهِ.

(٢) الارتقاءُ بالكتابةِ (٢).

(٣) أشعارُ الشعراءِ السِّتَّةِ الجاهليينَ (٩٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- فوائدُ صناعةِ الكتابةِ:

فَـــدُونَكَها تَحْـــوِي فوائِـــدَ جَمَّـــةً مـن العلـمِ قـد لا يَحْتَوِيهـا المُطَـوَّلُ

١ - إنَّ الكتابةَ إذا دَخَلَتْها الصنعةُ صارَتْ مقبولةً من كُلِّ أَحَدٍ.

واللهُ ﷻ ذَكَرَ جميلَ بلائِهِ في تعليمِ البيانِ، وعظَّمَ نعمتِهِ في تقديمِ اللسانِ فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن:١-٤].

وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

ومَدَحَ القرآنَ بالبيانِ والإفصاحِ، وبِحُسْنِ التفصيلِ والإيضاحِ، وبِجَوْدَةِ الإفهامِ، وحكمةِ الإبلاغِ، وسَمَّاهُ فُرْقانًا كما سَمَّاهُ قُرآنًا.

وقال: ﴿عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾ [النحل: ١٠٣].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ [طه: ١١٣](١).

وعن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «أَنَّهُ قَدِمَ رجلان من المَشْرِقِ فَخَطَبَا فَعَجِبَ الناسُ لبيانِهِما، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ من البيانِ لَسِحْرًا، وإنَّ بعضَ البيانِ لَسِحْرٌ**»»(٢).

قال أبو عُبيدٍ: «كأَنَّ المعنىٰ - واللهُ أعلمُ - أَنَّهُ يَبْلُغُ من ثنائِهِ أنه يَمْدَحُ الإنسانَ فَيَصْدُقُ فيه حتىٰ يصرِفَ القلوبَ إلىٰ قولِهِ: ثم يذُمهُ فيَصْدُقُ فيه حتىٰ يصرِفَ القلوبَ إلىٰ قولِهِ الآخَرِ: فكأَنَّهُ قد سَحَرَ السامعين بذلِكَ»(٣).

---

(١) انظر: «البيانَ والتبيينَ» (١/ ٣٢).

(٢) رواهُ البخاريُّ (٥٧٦٧).

(٣) البحثُ العروضيُّ والبلاغيُّ في لسانِ العربِ (٢١١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عُمَرُ بنُ عبد العزيزِ رَحِمَهُ اللهُ لِرَجُلٍ أَحْسَنَ في طَلَبِ الحاجةِ وتأتَّىٰ لها بكلامٍ وجيزٍ، ومنطقٍ حَسَنٍ: «هذا واللهِ السِّحْرُ الحَلالُ وقَضَىٰ حاجَتَهُ»(١).

نَطَقْتَ بسحرٍ بعدها غَيْرَ أَنَّهُ ... من السِّحْرِ ما لَمْ يُخْتَلَفْ في حلالِهِ

كذاكَ ابنُ سيرينٍ بِنَفْثَةِ يوسُفٍ ... تَكلَّمَ في الرؤيا بِمثْلِ مَقالِهِ(٢)

٢ - إنَّ الكتابةَ إذا دَخَلَتْها الصَّنْعَةُ فإنها تزيدُ الحَقَّ وضوحًا والمعنىٰ بيانًا

في زُخرُفِ التدلِ تزيينٌ لباطِلِهِ ... والحقُّ قد يَعْتَرِيْهِ سوءُ تعبيرِ

تقولُ هذا مُجاجُ النَّحلِ تَمْدَحُهُ ... وإنْ ذَمَمْتَ فقُلْ قيْءُ الزنابيرِ

مَدْحًا وذمًّا وما جاوَزْتَ وصْفَهُما ... سحرُ البيانِ يُرِي الظلماءَ كالنورِ(٣)

٣ - إن الكتابةَ إذا دَخَلَتْها الصنعةُ كانت أشدَّ اتِّصالًا بالقلوبِ وأخَفَّ علىٰ الأفواهِ؛ لأنَّه يُؤَثِّرُ في الوجدانِ والعواطِفِ بجانِبِ ما يُؤَثِّرُ في العقولِ، ويَخْلِبُ ألبابَ الرجالِ.

أتاني كتابٌ من خَلوبٍ وصَدْرُهُ ... عليك سلامٌ ما حلا الرق لامعَهْ

شكا ما بهِ من شوقه في كتابهِ ... وأكثرُ منه ما تُجنُّ أضَالِعُهْ

فَظَلَّ يُناجيني الكتابُ كأنَّما ... تُحرِّكُ لي حَرْفَ الكتابِ أصابِعُهْ(٤)

---

(١) البُخَلاءُ للجاحِظِ (٢٢٩)، وزهرةُ الأكَمِ (١/ ٤٧).

(٢) ديوانُ التهامي (١٧٥).

(٣) ديوانُ ابنِ الروميِّ (٢٢٦٩).

(٤) ديوانُ ابنِ الأحْنَفِ (١٥٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وخُلاصَةُ القولِ: أَنَّ الكتابةَ شريفةٌ من وُجوهٍ كثيرةٍ، فإذا دخلتها الصناعة ازدادت شرفًا.

قال ابنُ خلدونَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهي - أي الكتابةُ - تَطَّلِعُ علىٰ ما في الضمائِرِ وتَتَأَدَّىٰ بها الأغراضُ إلىٰ البَلَدِ البعيدِ، فَتُقْضَىٰ الحاجاتُ، وقد دَفَعَتْ مؤونةً المباشرةِ لها، ويُطَّلَعُ بها علىٰ العلومِ، والمعارِفِ، وصُحُفِ الأَوَّلين، وما كتبوه من علومِهم، وأخبارِهم؛ فهي شريفةٌ بهذه الوجوهِ والمنافِعِ»[1].

(١) مقدمةُ ابنِ خَلدونَ (٨٧).

البابُ الأوَّلُ

الوسائلُ والأُسُسُ المعينةُ على صناعةِ الكتابةِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفَصْلُ الأَوَّلُ

تَلَقِّي ودراسةُ أَهَمِّ علومِ اللغةِ العربيةِ

وهذا الفَصْلُ مما يُعينُ علىٰ صناعةِ الكتابةِ بل هو مفتاحُها الذي تَنْفَتِحُ به أبوابُ هذه الصناعةِ وأهَمُّ علومِ العربيةِ ما يأتي:

١- علم النحو والصرف:

إذا شَـرَحوا فـضلَ العلـومِ فَـإنَّني ... غنيٌّ بفضلِ النحوِ عنْ ذلكَ الشَّرْحِ

علمُ النحوِ والصرفِ للكاتِبِ كآلةِ الحَرْثِ للأرضِ فَمَنْ رامَ الكتابةَ دون أَنْ يتمكَّنَ من علم النحوِ والصرفِ فهو كَمَنْ يَحْرُثُ أرضًا وليسَ معه آلة الحرثِ فَحَرِيٌّ بالكاتِبِ أَنْ يُلِمَّ بعلمِ النحوِ والصرفِ فَإنَّ اللَّحْنَ في الكتابةِ أقبحُ من الجدري في الوجه!

قال صاحِبُ «صُبْحِ الأعشىٰ»: «فيحتاجُ - أي: الكاتبُ - إلىٰ المعرفةِ بالنحوِ وطُرُقِ الإعرابِ، والأخْذِ في تعاطي ذلك حتىٰ يجعَلَهُ دَأْبَهُ، ويصيِّرَه ديدَنَهُ ليرتسمَ الإعرابُ في فكرِهِ، ويدورَ علىٰ لسانِهِ، وينطلقَ به مقالُ قلمِهِ وكَلِمِهِ، ويزولَ به الوَهْمُ عن سَجِيَّتِهِ، ويكونَ علىٰ بصيرةٍ من عبارتِهِ. فَإنَّه إذا أتىٰ من البلاغةِ بأعلىٰ رتبةٍ ولَحَنَ في كلامِهِ، ذهبَتْ محاسِنُ ما أَتَىٰ بِهِ، وانهدمَتْ طبقةُ كلامِهِ وأُلْغِيَ جميعُ ما حَسَّنَهُ، ووقَفَ به عند ما جَهِلَهُ»[1].

ولقد أحسنَ الذي يقولُ:

النحـوُ يبـسطُ مـن لـسانِ الألكـنِ ... والمـرءُ تُكْرِمُـهُ إذا لـم يَلْحَـنِ

---

(١) صبحُ الأعشىٰ (١/ ٢٠٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا التَمَسْتَ من العلومِ أجلَّها فأجلُّها حَقًّا مقيمُ الأَلْسُنِ[١]

المَلَكَةُ اللِّسانيَّةُ:

ولَسْتُ بنحويٍّ يلوكُ لِسَانَهُ ولكنْ سليقيٌّ أقولُ فأُعْرِبُ

اجْعَلْ الهدفَ من تعلُّمِ النحوِ والصرفِ والبلاغةِ حُصُوْلَ المَلَكَةِ اللسانيةِ أي يصبحُ الكلامُ عندك بالعربيةِ طَبْعًا لا تَكَلُّفًا، ولا تحَصُلُ علىٰ الملكةِ اللسانيةِ حتىٰ تَتَكَلَّمَ بالنحوِ ولو مع عَوامِّ الناسِ[٢]، ولا تكتبْ سطرًا حتىٰ تُحْكِمَ النحوَ والصَّرْفَ ولو في رسالةٍ خاصَّةٍ تكتُبها لِأَحَدِ أبنائِكَ الصِّغارِ.

قال ابنُ خلدون رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَحْصُلُ هذهِ المَلَكَةُ بالممارسةِ والاعتيادِ والتَّكَرُرِ لِكلامِ العَربِ»[٣].

---

(١) التمثيلُ والمحاضرةُ (١٦١).

(٢) قَدْ يقولُ قَائلٌ: إنَّ العاميةَ ضرورةٌ لازمةٌ لمخاطبةِ الناسِ علىٰ قَدْرِ عقولِهم، والجوابُ: قال فتحي جُمْعةَ - حفظَهُ الله -: «إنَّ المخاطبةَ علىٰ قَدْرِ العقولِ لا يعني تبذُّلَ اللغةِ، أو هبوطَ الكلامِ، وانحرافَهُ عن سُنَنِ الفُصَحىٰ، وإنما تعني الابْتعادَ عن تعقيدِ الفكرةِ، والتَّقَعُّرِ في اللغةِ (أي تعمُّد اختيارِ الصَّعْبِ من التراكيبِ، والغريبِ الوحشيِّ من الكلامِ»، أما الجُنُوحُ إلىٰ العاميَّةِ بدعوىٰ إفهام العوامِّ، فإنْ لم يَكُنْ مداراةً للعجزِ عن الفُصْحَىٰ، وقِصَرِ الباعِ في استعمالِها، فهو ادِّعاءٌ يظلمُ الفُصْحَىٰ والعوامَّ في وقتٍ معًا، يظلم الفصحىٰ بأنها غيرُ مفهومةٍ ووالله إنَّها لمفهومةٌ، ويظلمُ العوامَّ بأنَّهم لا يفهمون، وتاللهِ إنَّهم ليفهمون، وإلَّا فكيفَ يَخْشَعُونَ للقرآنِ ويتأثَّرون ببالِغِ الموعظَةِ، وجميل البيان».

(٣) مقدمةُ ابنِ خَلدونَ (٥٨١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال: «إنَّ حصولَ ملكةِ اللسانِ العربيِّ إنما هو بكثرةِ الحِفْظِ من كلامِ العربِ، حتىٰ يَرْسِمَ ذلك في خيالِهِ المنوالَ الذي نسجوا عليهِ تراكِيبَهم فَيَنْسُجَ هو عليهِ، وينزلَ بذلِكِ منزلةَ مَنْ نَشَأَ معهم، وخالَط عبارتَهم في كلامِهم، حتىٰ حَصَلَتْ له المَلَكَةُ المُسْتَقِرَّةُ»(١).

فنفهمُ من خلالِ ما تقدم أن المِرانَ، أَحْسَنُ ما تُقيِّدُهُ المَلَكَةُ في اللسانِ، ومتىٰ أصبحَتْ العربيةُ عندك سليقةً وطبعًا سَلَسَ تعبيرُكَ في وَصْفِ مشاعِرِكَ حُبًّا وعَتَبًا واعْتذارًا ورائعٌ جَذَّابٌ أنتَ في وَصْفِ البروقِ اللامعةِ، والكواكِبِ النَّيِّرةِ والأزهارِ النَّضِرَةِ بعباراتٍ مُتَدَفِّقَةٍ متواصلةٍ، تَمُرُّ كالنسيمِ العليلِ، لا تَوَقُّفَ فيها ولا تَكَلُّفَ، أو كالماءِ الجاري بينَ الصُّخورِ، يَتَمَهَّلُ لِيَظْفَرَ بالمنافِذِ والمسارِبِ.

وللعلـــمِ رِجـــلانِ عقـــلٌ ودَرْسٌ ... وللعِلْـــمِ عينـــانِ نحـــوٌ وصَـــرْفُ
فكيـــفَ يجـــيءُ كـــسيحٌ وأَعْمَـــى ... يريـــدُ الكتابـــةَ؟! جَهْـــلٌ وسُـــخْفُ(٢)

٢ - معرفةُ قواعِدِ الإملاءِ وعلاماتِ الترقيمِ:

سَـــأَرْقُمُ في المـــاءِ القـــراحِ إليـــكُمُ ... علـى حـرةٍ لـو كـان للمـاءِ رارقـمُ(٣)

لا تَغْفَلْ عن الإملاءِ ولا عَنْ علامةِ الترقيمِ لما لهما من شأْنٍ في الكتابةِ؛ فالإملاءُ يقوِّمُ الكتابةَ ويَنْفُخُ منها روحَ المهابةِ والجلالِ، والترقيمُ يَبْعَثُ منها الحُسْنَ

(١) المرجع السابق (٥٨١).
(٢) قالَهُ أُسْتَاذُنا - حَفِظَهُ اللهُ -.
(٣) ديوانُ ذي الرمةِ (٣/ ١٧٨٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والجَمالَ، والقاريءُ يَسْتمتعُ بما يقرأُ كأَنَّ الكاتبَ ماثلٌ أمامَه(١).

٣- معرفةُ البلاغةِ:

كـــأنَّ المعـــاني في فـــصاحةِ لفظِهـــا نجـــومُ الثريـــا أو خلائِقُـــكَ الزُّهْـــرُ(٢)

فلا غِنَىٰ للكاتِبِ عن علمِ البلاغةِ، فهو علمٌ جليلٌ يَنْهَضُ بأسلوبِ الكاتِبِ ويرتقي بفصاحتِهِ وبلاغتِهِ درجاتٍ؛ فيتمكَّنُ من الإتيانِ بالكلامِ الخالي من التعقيدِ، الخالِصِ من تنافُرِ الكلماتِ وضَعْفِ التأليفِ، المُطابِقِ لمقتضَىٰ الحالِ الذي يتمكَّنُ في النفوسِ، ويُعْرَضُ في صورةٍ مقبولةٍ حَسَنَةٍ(٣).

كيفَ تحصُلُ على مَلَكَةِ البلاغةِ؟

نطقـــتَ بحـــقٍّ ســـاعَدَتْهُ بلاغـــةٌ وَفي النَّاسِ هـادٍ حِيْنَ يَسْرِي وخـابِطُ

الذي أنصحُكَ به هو أن تكتسِبَ مَلَكَةَ البلاغةِ، ومَلَكَةُ البلاغةِ لا تُكْتَسَبُ بدراسةِ قواعِدِ علمِ البلاغةِ وقوانينِهِ الموجودةِ في الكتبِ المتعلقةِ بهذا العَلْمِ فقط؛ وإنما تحصُلُ - أيضًا - بكثرةِ المطالعةِ والممارسةِ لكلامِ العربِ، والتَّفَطُّنِ لوجوهِ التراكيبِ التَّي مِنْه؛ حتىٰ يصيرَ نظمُ الكلامِ بكثرةِ الممارسةِ والتكرارِ مثلَ

---

(١) انظرْ كتابي «فنُّ الإملاء وعلامةُ الترقيمِ ففيه ما يكفي ويشفي؛ لِأَنَّه كتابٌ وأستاذٌ في وقتٍ معًا - إن شاءَ اللهِ -».

(٢) الإبانةُ عن سرقةِ المتنبي لفظًا ومعنىً (١٨).

(٣) انظر: الصناعتين للعسكريِّ (١٠)، والإيضاحَ للخطيب القزوينيِّ (١٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الطبعِ لدىٰ الشخصِ، فلا يتكلمُ إلا علىٰ أساليبِ العربِ البلاغيةِ، ولا يستسيغُ إلا ما كان جاريًا عليها(١).

وقال ابنُ خلدونَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه المَلَكَةُ - إنما تَحْصُلُ بممارسةِ كلامِ العَرَبِ وتكرُّرِه علىٰ السَّمْعِ والتفطُّنِ لخواصِّ تراكيبِهِ، وليستْ تحصُلُ بمعرفةِ القوانينِ العمليَّةِ في ذلك التي اسْتَنْبَطَها أهلُ صِناعَةِ البيانِ، فَإِنَّ هذه القوانينَ إنما تُفِيدُ علمًا بذلك اللسانِ، ولا تفيدُ حصولَ الملكةِ بالفِعلِ في محلِّها، وقد مرَّ ذلك وإذا تقرَّرَ ذلك فَمَلَكَةُ البلاغَةِ في اللسانِ تُهدي البليغَ إلىٰ وجُودِ النظمِ وحُسْنِ التركيبِ الموافِقِ لتراكيبِ العَربِ في لغتِهم ونظمِ كلامِهم.

ولو رامَ صَاحِبُ هذه الملكةِ جَيْدًا لمن هذه السبيلِ المعيَّنةِ والتراكيبِ المخصوصةِ، لما قدَرَ عليه ولا وافقَهُ عليه لسانُهُ؛ لأنه لا يعتادُهُ ولا تهديهِ إليه ملكتُهُ الراسخةُ عنده.

وإذا عُرِضَ عليه الكلامُ حائدًا عن أُسلوبِ العربِ وبلاغتِهم في نظمِ كلامِهم أَعرضَ عنه ومجَّهُ، وعَلِمَ أنَّه ليس من كلامِ العربِ الذي مارَسَ كلامَهم»(٢).

وأصولُ البلاغةِ الرئيسةُ في الكلامِ هي:

١- الاستعارةُ.

---

(١) انظر بحثًا عن: «مَلَكَةِ البلاغةِ اكتسابٌ» في موْقِعِ الألوكةِ.

(٢) المقدمةُ (٥٨١ - ٥٨٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- التشبيهُ، ومحاسِنُ الكلامِ وجميعُ مسائِلِ البلاغةِ ترجِعُ إلىٰ هذين وتتفرَّغُ عنها، وتدورُ حولها[١].

عجبــــى لِمَـــنْ جَهِـــلَ البلاغَـــةْ وأتـــى يؤلِّـــفُ في الـــصياغةْ!!

وأرادَ منـــــــكَ شـــــــهادةً أنَّ المعـــــانيَ مُسْتـــــساغَةْ!![٢]

(١) أوصيك بكتابي (تسهيلُ البلاغةِ)؛ فإنَّه كتابٌ كاسْمِهِ، ثم (زبدةُ البلاغةِ) لنصيفِ ثم (البلاغةُ الواضحةُ) لعلي الجارمِ ومصطفىٰ أمين، ثم كتابُ «إعرابُ القرآنِ وبيانُهُ» لدرويش.

(٢) قَالَهُ أُسْتَاذُنا - حَفِظَهُ اللهُ -.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفَصلُ الثاني

أسبابُ الارتقاءِ بصناعةِ الكتابةِ

للارتقاءِ بالكتابةِ أسبابٌ هي ما يأتي:

١- الإكثارُ من تلاوةِ القرآنِ الكريمِ وتَدَبُّرِهِ والاعتناءِ بحفظِهِ:

ولا ينفَـــعُ القـــرآنُ دونَ تـــدبُّرٍ كما لا يُخاضُ البحرُ إلا على السُّفْنِ[(١)]

لا أفصحُ من القرآنِ الكريمِ بلاغةً، ولا أعظمُ بيانًا، ولا أكثرُ إفادةً، ولا ألذُّ تلاوةً، مدارسَتُهُ وتعليمُهُ عبادةٌ، لو اجتمعَ الخلائِقُ علىٰ أن يأتوا بأقصرِ سورةٍ منه لَعَجَزُوا وهَيْهَاتَ.

قال ابنُ الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مَعرِضِ حديثِهِ عمَّا يحتاجُهُ الكاتبُ: «حِفْظُ القرآنِ الكريمِ، والتدرُّبُ باستعمالِهِ، وإدراجُهُ في مطاوي الكلامِ»[(٢)].

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ - ذاكرًا لهذا الإيصاءِ، ومعتقدًا لهذا الفِعْلِ -: «فإنَّ صاحِبَ هذه الصناعةِ - يعني الكتابةُ - ينبغي له أن يكونَ عارفًا بذلك؛ لِأَنَّ فيه فوائِدَ كثيرةً، منها أنه يُضَمِّنُ كلامَهُ بالآياتِ في أماكِنِها اللائقةِ بها ومواضِعَها المناسبةِ لها.

ولا شُبْهَةَ فيما يصيرُ للكلامِ بذلك من الفخامةِ والجزالةِ والرَّوْنَقِ.

ومنها أنه إذا عرف مواقعَ البلاغةِ وأسرارَ الفصاحةِ المودَعَةَ في تأليفِ القرآنِ اتَّخَذَهُ بَحْرًا يستخرجُ منه الدُّرَرَ والجواهِرَ، ويودعُها مَطَاوِيَ كلامِهِ، كما فَعَلْتُهُ أنا

---

(١) ديوانُ سحنون (٢/ ٢٧).

(٢) المَثَلُ السائِرُ (١/ ٢٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيما أنشأْتُهُ من المكاتباتِ، وكفىٰ بالقرآنِ الكريمِ وَحْدَهُ آلةً وأداةً في استعمالِ أفانينِ الكلامِ؛ فعليك أيُّها المُتَوشِّحُ لهذه الصناعةِ بحفظِهِ، والفَحْصِ عن سِرِّهِ وغامِضِ رموزِهِ وإشاراتِهِ؛ فإنه تجارةٌ لن تبورَ، ومنبعٌ لا يغورُ، وكنزٌ يُرْجَعُ إليه، وذُخْرٌ يُعَوَّلُ عليه»[١].

وقال: «ومن آتاهُ اللهُ في القرآنِ بصيرةً، فإنه يَسْبُكُ ومعانِيَهُ في كلامِهِ، ويستغني به عن غيرِهِ، إلا أنه ينبغي أن يكونَ فيه صَوَّاغًا يُخْرِجُ منه ضروبَ المصوغاتِ، أو صَرَّافًا يتجهَبذُ في نقودِهِ المختلفةِ من الذهَبِ المختلفِ الألوانِ، ولا أقولُ من الفضةِ؛ فإنه ليس فيه من الفِضَّةِ شيءٌ، وهو أعلىٰ من ذلك...

واعلمُ أَنَّ المتصدِّيَ لِحَلِّ معاني القرآنِ يحتاجُ إلىٰ كَثْرَةِ الدَّرْسِ؛ فإنه كلما دِيْمَ - داومَ - علىٰ درسِهِ ظَهَرَ من معانيهِ ما لم يَظْهَرْ من قَبْلُ.

وهذا شيءٌ جرَّبْتُهُ وخَبَرْتُهُ؛ فإني كنتُ آخذُ سورَةً من السُّوَرِ وأَتْلوها، وكلما مَرَّ بي معنىً أَثْبَتُّهُ في ورقةٍ مفردةٍ، حتىٰ أنتهيَ إلىٰ آخرِها؛ ثم آخُذُ في حَلِّ تلك المعاني التي أثبَّتُّها واحدًا بعد واحدٍ، ولا أقنعُ بذلك حتىٰ أعاوِدَ تلاوةَ تلكَ السُّورةِ، وأفعلُ مثلَ ما فعلْتُهُ أولًا، وكلما صَقَلَتْها التلاوةُ مَرَّةً بعد مَرَّةٍ، ظهرَ في كلِّ مَرَّةٍ من المعاني ما لَمْ يظهَرْ لي في المرَّةِ التي قَبْلَها[٢]»

وَوَاظِبْ عَلى دَرسِ القُرْآنِ فَإنَّ في ... تِلَاوَتِهِ الأَرْبَاحَ والشَّرْحَ لِلصَّدْرِ
أَلا إنَّهُ البَحْرُ المُحِيْطُ وَغَيْرُهُ ... مِنْ الكُتْبِ أَنْهَارٌ تُمَدُّ مِنْ البَحْرِ

(١) المرجعُ السابقُ (١/ ٤٧).
(٢) المرجعُ السابقُ (١/ ١٢٦ - ١٢٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَـــدَبَّر مَعَانِيـــهِ وَرَتِّلْـــهُ خاشـــعًا تَفُوزُ مِنْ الأَسْرَارِ بالكَنْزِ والذُّخْرِ(١)

٢ - الإكثارُ من مطالعةِ كُتُبِ السُّنَّةِ:

وخُـذْ مِـنْ عُلُـومِ الـدِّيْنِ حظًّـا مُـوَفَّرًا فَبَـالعِلْمِ تَـسْمُوا في الحَيَـاةِ وفي الحَـشْرِ(٢)

كتبُ السُّنَّةِ، كالأُمَّهاتِ السِّتِّ، والصِّحاحِ، والمسانيدِ؛ حافلةٌ بِضُروبِ البلاغَةِ، فالنبيُّ ﷺ أفصحُ مَنْ نَطَقَ بالضادِ، وأبلغُ مَنْ أوتيَ جوامِعَ الكَلِمِ، فأروىٰ ببلاغتِهِ كُلَّ قلبٍ صادٍ.

فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ علىٰ الأنبيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إلىٰ الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»(٣).

ويكفي في بيانِ روعةِ تعبيرِهِ وبلاغةِ كلامِهِ، وتراكيبِهِ ﷺ ما يقولُهُ الجاحِظُ في كتابِهِ «البيانُ والتبيينُ» من أَنَّهُ «لم يتكلَّمْ إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمةِ، وشُيِّدَ بالتأييدِ ويُسِّرَ بالتوفيقِ، وهو الكلامُ الذي ألقىٰ اللهُ عليه المحبَّةَ وغشاهُ بالقَبولِ، وجَمَعَ له بينَ المهابةِ والحلاوةِ، وبين حُسْنِ الإفهامِ وقِلَّةِ عَدَدِ الكلامِ... لم تسقُطْ له كلمةٌ، ولا زلَّتْ به قَدَمٌ ولا بارَتْ له حُجَّةٌ، ولم يَقُمْ له خَصم...».

له خصْمٌ ولا أَفْحَمَهُ خطيبٌ، بل يبذُّ الخُطَبَ الطوالَ بالكَلِمِ القِصارِ... ولا يحتجُّ إلا

---

(١) مجموعةُ القصائِدِ الزهدياتِ (١/ ٢٥٦).

(٢) رواهُ مسلمٌ (٥٢٣).

(٣) المرجِعُ السَّابقُ (١/ ٢٥٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالصدقِ، ولا يَطْلُبُ الفَلَجُ[١] إلا بالحَقِّ ولا يستعينُ بالخلابةِ... ولم يسمعْ النَّاسُ بكلامٍ قد أَعَمَّ نَفْعًا، ولا أقصدَ لفظًا ولا أعدلَ وَزْنًا، ولا أجملَ مَذْهَبًا ولا أكرمَ مطلبًا، ولا أحسنَ موقِعًا ولا أسهلَ مَخرجًا، ولا أفصح معنىٰ ولا أبينَ في فحوىٰ من كلامِهِ ﷺ[٢].

لكَ في المحافِلِ منطقٌ يشفي الجَوَى ... ويسوغُ في أُذُنِ الأديبِ سُلافُهُ

فكَأَنَّ لفظَكَ لؤلؤٌ مُتَنَحِّلُ ... وكأنما آذانُنا أصدافُهُ[٣]

وقا أُسْتَاذُنا - حَفِظَهُ اللهُ -:

أَعْلى الجواهِرِ والنفائِسِ رُتْبَةً ... هي في الكتابِ وسُنَّةِ المختارِ

٣ - العنايةُ بكلامِ فصحاء العرب وبلغائهم:

استنبطَ العُربُ لفظًا وانبرى نَبطٌ ... يخاطبونك من أفواهِ أَعْرابِ[٤]

تَحْصُلُ صناعةُ الكتابةِ للشخْصِ بحِفْظِ كلامِ العَرَبِ القديم وأخبارِهم وأيامهم حتىٰ يصيرَ لَدَيهِ مَلَكَةٌ راسَخةٌ تُنْزِلُه مَنزلةَ مَنْ نشأ مع العربِ.

وينقسم كلامُ العَرَبِ إلىٰ نوعين: منظومٍ ومنثورٍ، فالمنظومُ هو الشِّعْرُ، وأما المنثورُ فهو الخُطَبُ والرسائِلُ والمكاتباتُ والوقائِعُ والأيامُ المشهورةُ ونحوُها.

والعلمُ الذي يعني بكلامِ العربِ القديمِ المنظومِ والمنثورِ هو علمُ الأدبِ، وهو علمٌ ليس له قوانين معينةٌ؛ وإنما المقصودُ منه هو ثمرَتُهُ وهي الإجادةُ في الكتابةِ

(١) الفَلَحُ: الفوزُ والظَّفَرُ.

(٢) البيانُ والتبيينُ (٢/ ١٧).

(٣) تَتِمَّةُ اليتيمةِ (٢/ ٣٢٢).

(٤) «ديوانُ أبي العلاء» (١٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتأليفُ الكلامِ؛ ولذلك فهم يُعَرِّفُونه فيقولون: الأَدَبُ هو حِفْظُ أشعارِ العربِ وأخبارِها، وتوجدُ في هذا العلمِ كتبٌ مشهورةٌ هي أركانُ هذا العلمِ؛ مثلُ: البيانِ والتبيينِ للجاحِظِ، والكامِلِ للمبرِّدِ، والأمالي لأبي علي القالي.. ونحوِ ذلكَ(١).

ويجبُ علىٰ الكاتِبِ أن يأخُذَ نَفْسَهُ بحِفْظِ أنواعٍ من الكلامِ العربيِّ القديمِ الموجودِ في هذه الكُتُبِ؛ لكي تَنْشَأَ لديهِ مَلَكَةُ الكتابةِ والقدرةِ علىٰ صياغةِ الكلامِ والتعبيرِ عن الأفكارِ؛ يقولُ ابنُ خَلدونَ: «وَوَجْهُ التعليمِ لمَنْ يبتغي هذه الملكةَ ويرومُ تحصيلَها، أنْ يأخُذَ نَفْسَهُ بحفظِ كلامهمِ القديمِ الجاري علىٰ أساليبِهم من القرآنِ والحديثِ، وكلامِ السَّلَفِ، ومخاطباتِ فُحُولِ العربِ في أسجاعِهم وأشعارِهم، وكلماتِ المولَّدين أيضًا في سائِرِ فنونِهم، حتىٰ يتنزَّلَ لكثرةِ حفظِهِ لكلامِهم من المنظومِ والمنثورِ منزلةَ مَنْ نَشَأَ بينَهم ولُقِّنَ العبارةَ عن المقاصِدِ منهم، ثم يتصرَّفُ بعد ذلك في التعبيرِ عمَّا في ضميرِهِ علىٰ حَسَبِ عباراتِهم، وتأليفِ كلماتِهم، وما وَعَاهُ وحفظَهُ من أساليبِهم، وترتيبِ ألفاظِهم، فَتَحْصُلُ له هذه المَلَكةُ بهذا الحفظِ والاستعمالِ، ويزدادُ بكثرتِهما رسوخًا وقوَّةً»(٢).

ومع ذلك فإنَّ الكاتِبَ عليه أَنْ يختارَ محفوظاتِهِ من الكلامِ العربيِّ القديمِ، فيحفظَ من ذلك الكلامِ الأشعارَ والمنثوراتِ العاليةَ الطَّبَقةِ، ويبتعدَ عن الأنواعِ النازلةِ؛ وذلك حتىٰ يحافِظَ علىٰ جودةِ مَلَكَةِ الكتابةِ لَديْهِ؛ يقولُ ابنُ خلدونَ: «قد

(١) مقدمةُ ابنِ خلدونَ (٦٢٠ – ٦٢١).

(٢) المرَجِعُ السَّابِقُ (٣٢٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَدَّمْنا أنه لا بُدَّ من كَثرةِ الحفظِ لِمَنْ يرومُ تعلُّمَ اللسانِ العربيِّ، وعلىٰ قدرِ جودةِ المحفوظِ وطبقتِهِ في جِنْسِهِ وكثرتِهِ وقِلَّتِهِ، تكونُ جودةُ المَلَكَةِ الحاصلةِ عنه للحافِظِ، فمَنْ كان محفوظُهُ من أشعارِ العربِ الإسلاميينَ شعرَ حبيبٍ أو العتابيِّ أو ابنِ المِعتزِّ أو ابنِ هانيءٍ أو الشريفِ الرضيِّ، أو رسائلَ ابنِ المَقفَّعِ أو سهلِ ابن هارونَ أو ابنِ الزياتِ أو البديعِ أو الصابيءِ، تكونُ مَلَكَتُهُ أجودَ وأعلىٰ مقامًا وَرُتبةً في البلاغةِ مِمَّنْ يحفَظُ أشعارَ المتأخرينَ؛ مثلِ: شعرِ ابنِ سَهْلٍ أو ابنِ النبيهِ أو تَرَسُّلِ البيسانيِّ أو العمادِ الأصبهانيِّ، لنزولِ طبقةِ هؤلاءِ عن أولئِك، يظهرُ ذلك للبصيرِ الناقِدِ صاحِبِ الذوقِ، وعلىٰ مقدار جودةِ المحفوظِ أو المسموعِ تكونُ جودةُ الاستعمالِ من بعدِهِ، ثم إجادةُ الملكةِ من بعدِهِما، فبارتقاءِ المحفوظِ في طبقتِهِ من الكلامِ ترتقي المَلَكَةُ الحاصلةُ؛ لأنَّ الطبعَ إنما يُنْسَجُ علىٰ منوالِها، وتنمو قوي الملكةِ بتغذيتها»[1].

أَطَرْسُكَ أَمْ خدُّ عذراءَ بِكْرِ ... وذا درُّ لفظِكَ أم لَفْظُ دُرِّ
سَحَرْتَ غداةَ فَضَضْتَ الختامَ ... عنه كَأَنْ لفظُهُ نَفْثُ سِحْرِ
وشَكَّكني حُسْنُ تنميقِهِ ... أَوَشْيُ بَنانِكَ أم وَشْيُ زَهْرِ[2]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا – حَفِظَهُ اللهُ –:

اِختَرْ لنفسِكَ من رحيقِ زهورِهم ... عَذْبَ الجَنَى من مصدرٍ موثوقِ
فَلَهُمْ تراثٌ لا وجودَ لمثلِهِ ... في القَدْرِ والتَّوثيقِ والتَّحقيقِ

(١) المَرجِعُ السَّابِقُ (٦٤٧).
(٢) العِقْدُ المُفَصَّلُ (٢٠١ – ٢٠٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويتفرَّعُ عن العنايةِ بكلامِ فُصَحاءِ العَرَبِ وبُلغائِهم ما يأتي:

أ - إدمانُ النَّظَرِ في خُطَبِ العَربِ، وحفظُ ما تَيَسَّرَ منها:

مـــن للمنـــابرِ يرتقِيهـــا صـــائِحًا ... في القـومِ صـيحةَ مُـصْقِع مقـوالِ[١]

الخُطَبُ خَيْرُ مُعينٍ علىٰ صناعةِ الكتابةِ، وقلَّ أَنْ يَنْبُلَ في الكتابةِ مَنْ لم يحفظْ خُطَبَ العربِ أو علىٰ الأقلِّ إدمانَ النظرِ فيها؛ جاءَ في صُبْحِ الأعشىٰ: «وهي من آكدِ ما يحتاجُ إليه الكاتبُ، وذلك أَنَّ الخُطَبَ من مُستودعاتِ سِرِّ البلاغةِ، ومجامع الحِكَمِ، بها تفاخَرَتْ العَرَبُ في مشاهدِهم، وبها نَطَقَتْ الخلفاءُ والأمراءُ علىٰ منابرِهم، بها يتميزُ الكلامُ، ويُخَاطَبُ الخاصُّ والعامُّ، وعلىٰ مِنوالِ الخطابةِ نُسِجَتْ الكتابةُ، وعلىٰ طريقِ الخطباءِ مَشَتْ الكُتَّابُ»[٢].

وقد كانت الخِطابةُ من الفنونِ النادرةِ العاليةِ المرتبةِ في الجاهليةِ والإسلامِ، والتي لا تتأتَّىٰ إلا للخطباء الفصحاءِ في اللغة العربية من ساداتِ العَرَبِ ورؤسائِهم، وكانت تُقالُ في المناسباتِ النادرةِ الكبيرةِ والمحافِلِ العظيمةِ، وذلك بخِلافِ الشِّعْرِ الذي كان يتعاطاهُ الخاصَّةُ والعامةُ منهم لسهولةِ حفظِهِ وشيوعِهِ بينهم[٣].

ولا شَكَّ أَنَّ مَنْ يحفظُ الخُطَبَ البليغةَ يجني فوائِدَ جَمَّةً؛ لأنه يَسْهُلُ عليه التعبيرُ عن الأفكارِ، والمعاني بالكلامِ البليغِ، وتفيضُ عليه وَقْتَ الحاجةِ الألفاظُ، والعبارة المناسبةُ، والسهلةُ للمعنىٰ، أو الفكرةِ التي يريدُ التعبيرَ عنها.

---

(١) ديوانُ أحمد محرم (١٠٠).

(٢) «صُبْحُ الأَعْشَىٰ في صناعةِ الإنشا» للفزاريِّ (١/ ٢١٠).

(٣) المرجِعُ السَّابِقُ (١/ ٢١١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يـــا ســـيِّدًا كَلماتُـــه ... شـــرفُ المهـــارِقِ والـــسطورِ
للهِ درُّكَ مـــن خطيـــب ... شـــاعرٍ نَـــدْبٍ خطيـــرِ
أهـــديتَ لـــي دُرَرَ الكـــلام ... فَخِلْتُهـــا دُرَرَ النُّحـــورِ[١]

ب - معرفةُ أمثالِ العَرَبِ:

بالفَـضْلِ يَحْـسُنُ لَفْـظُ كـلِّ مقـالٍ ... وبـه تـسيرُ غرائِـبُ الأمثـالِ[٢]

حَرِيٌّ بالكاتِبِ أَنْ يكونَ علىٰ معرفةٍ بأمثالِ العربِ؛ فالكاتبُ الذي يَضَعُ المَثَلَ من كتابِهِ في موضِعِهِ إنما يُشْبِعُ المعنىٰ ويوضِّحُهُ ويُحَلِّقُ بالقارئِ إلىٰ أُفُقٍ بعيدٍ يجعلُهُ يعيشُ مع الكتابِ بعقلِهِ وروحِهِ فلا يفارقُهُ حتىٰ آخِرِ سَطْرٍ منه.

جاء في «صُبْحِ الأَعْشَىٰ»: «اعْلَمْ أَنَّ الكاتِبَ يحتاجُ إلىٰ النظرِ في كتبِ الأمثالِ الواردةِ عن العربِ؛ نثرًا، ونَظْمًا، والنظرِ في الكتبِ المصنَّفَةِ في ذلك: كأمثالِ الميدانيِّ، والمفضَّلِ ابنِ سلمةَ الضبيِّ، وحمزةِ الأصبهانيِّ، وغيرِهم[٣] وكذلك أمثالِ المولَّدينَ الواردةِ في أشعارِهم: كالأمثالِ الواردةِ في شعرِ جريرٍ، والفرزدقِ ونحوِهما[٤] إلىٰ غيرِ ذلك من الأمثالِ الواردةِ نَثْرًا ونظمًا، والنظرِ في أمثالِ المُحْدَثِين الواردةِ في أشعارِهم: كأبي العتاهيةِ، وأبي تمَّامَ، والمتنبي؛ فحكمُ ما وَرَدَ من الأمثالِ في شعرِ المولَّدينَ والمُحْدَثينَ حكمُ أمثالِ العربِ الشعريةِ؛ أمَّا في شعرِ المولَّدين فَلِجَرْيِهِمْ علىٰ أسلوبِ العَرَبِ»[٥].

---

(١) ديوانُ ابنِ معصومٍ (١٦١).

(٢) الأوراقُ (١/ ٢١).

(٣) انظر كتابي (أمثالُ النبلاءِ) فإنك واجدٌ فيه ما يملأُ الصدرَ والنَّحْرَ - إن شاءَ اللهُ -.

(٤) انظر كتابي (منتقىٰ الأشعارِ) فيه أشعارٌ رائقةٌ كالشَّهْدِ ترتقي بذوقِكَ وكلماتِك - إن شاءَ اللهُ -.

(٥) صبحُ الأَعْشَىٰ (١/ ٣٤٦ - ٣٤٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال العسكريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما رأيتُ حاجةَ الشريفِ إلىٰ شيءٍ من أَدَبِ اللِّسانِ بعد سلامتِهِ من اللَّحْنِ كحاجتِهِ إلىٰ الشاهِدِ، والمَثَلِ، والشَّذْرةِ، والكلمةِ السائرةِ، فَإِنَّ ذلك يزيدُ المَنْطِق تفخيمًا، ويُكْسِبُهُ قبولًا، ويُجْعلُ له قدرًا في النفوسِ، وحلاوةً في الصدور، ويدعُوا القلوبَ إلىٰ وَعَيْهِ، ويَبْعَثُها علىٰ حِفْظِهِ، ويأخذُها باستعدادٍ لأوقاتِ المذاكرةِ، والاستظهارِ به أوانَ المجاولةِ في ميدنِ المجادلةِ والمصادلةِ في حلباتِ المقاولةِ.

وإنما هذا الكلامُ كالتفضيلِ في العِقْدِ، والتنويرِ في الرَّوْضِ، والتسهيمِ في البُردِ[١]؛ فينبغي أن يستكْثِرَ من أنواعِهِ؛ لِأَنَّ الإقلالَ منها كاسْمِهِ إقلالٌ، والتقصيرَ في التماسِهِ قُصُورٌ.

وما كان منه مثلًا سائرًا فمعرفَتُهُ أَلْزَمُ؛ لِأَنَّ منفعتَه أعَمُّ، والجَهْلَ بها أَقْبَحُ»[٢].

وقال عليُّ بنُ هُذَيْلٍ: «وَلَيْسَ يَكْمُلُ أَدَبُ المَرْءِ حتىٰ يَعْرِفَ المَثَلَ السَّائِرَ»[٣].

وَأَحْسَنُ ما قِيْلَ في الأمثالِ قولُ طُفيلِ بنِ الأخرمِ:

أَعَاذِلُ إِنَّ الشُّحَّ لايُخْلِدُ الفَتَى ... ولا يُهْلِكُ النفسَ الكريمةَ جودُها

تقولُ سُلَيْمَى قد تغيَّرْتَ بعدَنا ... كذاك صروفُ الدهرِ يَبْلَى جديدُها

وشَيَّبَ رَأْسي قبلَ شيبِ لِدَاتِهِ ... همومٌ وروعاتٌ يشيبُ وليدُها

ومضروبةُ الأمثالِ قومْتُ درءَها ... لذيذٌ بأَفواهِ الرجالِ نَشِيْدُها[٤]

---

(١) جمهرة الأمثال للعسكري (١/ ١٤).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤).

(٣)عين الأدب لعلي بن هذيل (١٥٩).

(٤) الذخائرُ والبصائرُ (٢/ ٤٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جـ - حفظُ ما تَيَسَّرَ من الشّعْرِ الجَيِّدِ:

أيهـا الـشِّعرُ أنـت وَحْـيُ جَنـاني ... وصَـدَى خـاطِرِي وسِـحْرُ بيـاني[١]

يوصَفُ الشِّعرُ بِأَنَّهُ ديوانُ العربِ؛ لِأَنَّ فيه تاريخَهم وأخبارَهم وأيامَهم ودُوَلَهم، وفيه لغتَهم وأسالَيبَهم وآدابَهم؛ ولذلك فإنه لا غنىٰ للكاتبِ عن حفظِهِ؛ لتكوينِ مَلَكةِ الكتابةِ لديهِ، وتجويدِها، وهو علىٰ أنواعٍ، فمنه شعرُ العربِ في الجاهليةِ، مثلُ: المعلقاتِ، وشعرِ الحماسةِ، والفضَّلياتِ، والأصمعياتِ... إلخ، ومنه شعرُ المُوَلَّدينَ من العربِ، وهم الذين كانوا في أَوَّلِ الإسلامِ؛ مثلُ: جريرَ والفرزدقَ والأخطلَ ونحوُهم، ومنهم المُحْدثون؛ مثلُ: أبِي تمامَ والبحتريِّ والمتنبي ونحوِهم، أما شعرُ العَرَبِ والمولَّدين فلا يَستغني الكاتبُ عن حفظِهِ لما في ذلك من غزارةِ الموادِّ، والأمثالِ، والمعاني المخترعةِ، وأصولِ اللغةِ وشواهِدِها ونوادرِها[٢].

وأما شعرُ المُحْدَثين فيتميَّزُ بالصناعةِ، وتوليدِ المعاني اللطيفةِ، وقربِهِ من الكتابةِ والخطابةِ؛ ولذلك فإنَّ حفظَ هذه الأشعارِ وتدبُّرَ معانيها يُسَهِّلُ علىٰ الكاتِبِ عند الحاجةِ استعمالَ ألفاظِها واقتباسِ معانيها[٣].

قَالَ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -:

حَفِظْـتُ مـن الـشعرِ أرقـى القـصيدِ ... ولـــذَّا لـــيَ المنطِـــقُ الـــسَّاحِرُ

وذابـــتْ معانيـــه في مُهْجَتـــي ... لِـــذاكَ أنـــا النـــاثِرُ الـــشاعِرُ

---

(١) ديوانُ محمد العبيد آل خليفة.

(٢) صُبْحُ الأَعْشَىٰ، (١/ ٢٧١).

(٣) المرجِعُ السَّابِقُ (١/ ٢٧٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا أَكْثَرَ الكاتبُ من حفظِ الشعرِ، فإنه تتوارَدُ عليه الألفاظُ والمعاني عند حاجتِهِ إلىٰ التعبيرِ عن معنىٰ أو فكرةٍ، فيسهُلُ عليه استعمالُ هذه الألفاظِ للتعبيرِ عنها، ويصوغُ أفكارَهُ في ألفاظٍ رشيقةٍ قريبةِ المأْخَذِ سهلةِ الفَهْمِ.

قال في صُبْحِ الأَعْشَىٰ: «فإنَّ الشِّعْرَ هو المادةُ الثالثةُ للكتابةِ بعد القرآنِ الكريمِ والأحاديثِ النبويَّةِ وخصوصًا أشعارُ العربِ، فإنها ديوانُ أدبهم ومستودَعُ حكمِهم وأنفسُ علومِهم في الجاهِليةِ، فإذا أكثرَ من حفظِ الشعرِ وفَهْمِ معانيه، غَزُرَتْ لديهِ الموادُّ، وترادَفَتْ عليه المعاني، وتوارَدَتْ علىٰ فكرِهِ»[(١)].

ومِنْ أَحْسَنِ ما قيلَ في مَدْحِ الشعرِ قولُ أبي تمامَ:

إن القوافي والمساعي لم تَزَلْ ... مثلَ النظامِ إذا يكونُ فريدا

هي جوهرٌ نثرٌ فإن أَلَّفْتَهُ ... بالشعرِ صار قلائدًا وعقودا[(٢)]

ومن أحسنِ ما قيلَ في وَصْفِ الشاعِرِ شِعْرَهُ قولُ بعضِهم:

شَغَلَتْكَ عن حُسْنِ السماعِ مدائحٌ ... حَسُنَتْ فما تَنْفَكُّ تُطْرِبُ سامعَا

طَلَعَتْ عليك أبا الفوارسِ أنجمٌ ... منهنَّ يُخْجِلْنَ النجومَ طوالِعَا

جاءتْكَ مثلَ بدائعِ الوَشْيِ الذي ... ما زالَ في صنعاءِ يُتْعِبُ صانِعا

أو كالربيعِ يريكَ أَخْضَرَ ناضِرًا ... ومُوَرَّدًا شَرِقًا وأصفرَ فاقِعا[(٣)]

---

(١) المرجِعُ السَّابقُ (٢٨١).

(٢) أحسنُ ما سَمِعْتُ (٢٩).

(٣) المرجِعُ السَّابِقُ (٢٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طريقةُ انتقاءِ الأشعارِ:

وَلَـــمْ تـــزلْ هكـــذا طريقـــةُ مَـــنْ ثقَّـــفَ أقولَـــهُ ومـــن فَرُســـا[١]

قد تحتاجُ إلىٰ بيتٍ من الشعرِ أو أبياتٍ تُزَيِّنُ كلماتِكَ لتكونَ واسطةَ عقدِها يزيدُ النثرَ تألقًا والمعنىٰ وضوحًا فأمامَك ثلاثُ طُرُقٍ:

١- إذا كنتَ تحفظُ الأشعارَ فاختره لكتابِكَ ما يناسبُ الحالَ والمقامَ.

٢- إذا كنتَ تحفظُ الأشعارَ، لكن لِبُعْدِ العَهْدِ نسيتَ، إلا كلمةً أو كلماتٍ متفرقاتٍ، قم بإدخالِ كلمةٍ من تلك الكلماتِ التي تحفَظُها في مُحَرِّكِ البحثِ من «المكتبةِ الشاملةِ» ثم اضغطْ علىٰ قِسْمِ: الدواوينِ الشعريةِ فإذا لم تَجِدْ ففي قسمِ: «الأدبِ والشعرِ» فإذا لم تجدْ المطلوبَ اكتبْ كلمةً أُخرىٰ غيرَها مِمَّا تحفَظُ[٢].

٣- إذا لم تحفظْ كلمةً أو كلماتٍ اكتبْ كلمةً من عنوانِ الفصلِ الذي تَبْحَثُ فيه فإذا كنتَ تَبْحَثُ عن «الصبرِ» ادخلْ كلمةَ «الصبرُ» في محركِ البحثِ بالطريقةِ السابقةِ وستجِدُ أشعارًا في الصبرِ فتختارُ منها ما يناسِبُ المقامَ، وهكذا في بقيَّةِ الكتابِ، واجعلْ الشعرَ في الكلامِ بِقَدْرِ المِلْحِ في الطعامِ.

---

(١) ديوانُ ابنِ الروميِّ (٢٣٣٥).

(٢) تنبيهٌ: تأكَّدْ هل الكتابُ الذي تَنْقُلُ عنه من (الشاملةِ)، أو غيرِها هل هو موافِقٌ للمطبوعِ؛ لِأنَّ غيرَ الموافِقِ للمطبوعِ لا يخلو من سَقْطٍ وأغلاطٍ؛ فإذا لم يكنْ الكتابُ موافقًا للمطبوعِ، قُمْ بزيارةِ المكتباتِ العامةِ لمقابلةِ أيِّ كلامٍ مقتبسٍ علىٰ الكتبِ المطبوعةِ، ومتىٰ تعسَّرَ عليك، قمْ بتزيلِ أيِّ كتابٍ تحتاجُهُ من النتِّ بشرطِ أن يكونَ موافقًا للمطبوعِ.
ولا تقتبسْ أيَّ كلامٍ من كتابٍ نَقَلَ عن غيرِهِ، بل عُدْ للأصلِ وخُذْ الكلامَ المقتبسَ بِسَنَدٍ عالٍ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

د - العنايةُ بِكُتُبِ فصيحِ مُفْرداتِ الأَلْفاظِ:

معـــانٍ تحـــتَ ألفـــاظٍ حِـــسانٍ كمـــا اجْتَمَـــعَ القلائِـــدُ والنُّحُـــورُ[١]

لا بُدَّ لَكَ من العنايةِ بالألفاظِ الكتابيةِ وهي مدونةٌ في كُتُبِ «الألفاظِ الكتابيةُ» للهمدانيِّ، و«الجواهِرُ الألفاظِ» للبغداديِّ، وكتابِ «مُتَخَيَّرِ الألفاظِ» لابن فارسٍ، و«الألفاظِ الكتابةِ والتعبيرِ» لابنِ سَهْلٍ، فما في هذهِ الكُتُبِ أو غيرِها مادةٌ جاهزةٌ أسْقَطَتْ كثيرًا من المؤنةِ عن الكاتبِ.

قال الصاحِبُ بنُ عَبَّادٍ: «لو أدركتُ عبدَ الرحمن بنَ عيسىٰ مُصَنِّفَ كتابِ «الألفاظِ» لَأَمَرْتُ بقَطْعِ يَدِهِ، فَسُئِلَ عن السَّبَبِ فقال: جَمَعَ شُذُورَ العربيةِ الجَزِلَةَ في أوراقٍ يسيرةٍ فأضاعَها في أفواهِ صبيانِ المكاتبِ، ورَفَعَ عن المُتَأَدِّبين تَعَبَ الدُّروسِ، والحفظِ الكثيرِ، والمطالعةَ الكثيرةَ الدائمةَ»[٢].

بـاللهِ لفظُـكَ هـذا سـالَ مـن عَـسَلٍ أَمْ قـد صَـبَبْتَ علـى أفواهِنـا العَـسَلَا؟

أَمِ المعـاني اللَّـواتي قـد أَتَيْـتَ بهـا أرى بهـا الـدُّرَّ واليـاقوتَ مُتَّـصِلا

لـو ذاقَهـا مُـدْنَقٌ قامَـتْ حُـشاشَتُهُ ولـو رآهـا غريـبٌ دارُهُ لَـسَلا

---

(١) «ديوانُ ابنِ الخيَّاطِ» (١٠٩).

(٢) الأَعْلامُ (٣٢١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفَصْلُ الثالثُ: زاد الكاتِبِ

يحتاجُ الكاتبُ إلىٰ زادٍ يَتَزَوَّدُ مِنْهُ وهو ما يأتي:

١- الاطِّلاعُ على الكُتُبِ المُعِيْنَةِ على صناعةِ الكتابةِ.

صُحْبَةُ الكُتْبِ تَجْعَلُ السجنَ دارًا ... في حِماها يزولُ كُلُّ اغترابِ[1]

هناكَ كُتُبٌ تُعينُكَ علىٰ صناعةِ الكتابةِ، يُمكنُكَ الرجوعُ إليها؛ للاستزادةِ والاستفادةِ، وهذه الكتبُ هي:

١- أدبُ الكاتِبِ؛ لابنِ قُتيبةَ.

٢- كتابُ الصناعتين؛ لأبي هلالٍ العسكريِّ.

٣- أَدَبُ الكُتَّاب؛ للصوليِّ.

٤- المَثَلُ السائِرُ؛ لابنِ الأثيرِ.

٥- كتابُ الفَرْقِ؛ لابنِ فارسٍ اللغويِّ.

٦- كتابُ الفَرْقِ؛ لثابتِ بنِ أبي ثابتٍ اللغويِّ.

٧- جواهِرُ الألفاظِ؛ لقُدامَةَ بنِ جَعْفَرَ.

٨- الألفاظُ الكتابيةُ؛ للهمذاني الكاتِبِ.

٩- سِحْرُ البلاغةِ وسِرُّ البراعةِ؛ للثعالبيِّ.

---

(١) انظر: «كيفَ تكونُ كاتبًا بارعًا، ومؤلفًا متقنًا؟».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠- المُنْتَخَبُ من كناياتِ الأدباءِ وإرشاداتِ البلغاءِ؛ لأبي العباسِ الجرجانيِّ.

١١- كتابُ الكنايةِ والتعريضِ؛ للثعالبيِّ.

١٢- كتابُ الكتَّابِ؛ لابنِ دَرَسْتَوِيْهِ.

١٣- شرحُ أدبِ الكاتِبِ؛ لأبي منصورٍ الجواليقيِّ.

١٤- معالمُ الكتابةِ ومغانِمُ الإصابَةِ؛ لعبدِ الرحيمِ بنِ عليٍّ القرشيِّ.

١٥- قواعدُ الإملاءِ وعلاماتُ الترقيمِ؛ لِعبدِ السلامِ محمد هارونَ.

١٦- مهاراتُ الكتابةِ في اللغةِ العربيةِ؛ لِشريفِ عبد السميعِ شريف عثمانَ.

١٧- الكتابةُ بين الموضوعِ والفَنِّ؛ عبدُ الرزاقِ حسينُ.

١٨- تصحيحُ الكُتُبِ وصُنْعُ الفهارِسِ المعجمةِ؛ أحمد شاكر.

١٩- تهذيبُ المفردِ العَلَمِ في رَسْمِ القَلَمِ؛ السيدُ أحمدُ الهاشميُّ.

٢٠- الضياءُ في فنِّ الكتابةِ وقواعِد الإملاءِ؛ محمدُ أحمد المليجيُّ.

٢١- في أساسياتِ اللغةِ العربيةِ؛ عبد العزيز نبوي.

٢٢- الارتقاءُ بالكتابةِ؛ محمدُ بنُ إبراهيمَ الحَمْدُ.

٢٣- تثقيفُ اللسانِ وتلقيحُ الجَنَانِ؛ لابنِ مكيٍّ لصقليٍّ.

٢٤- الأخطاءُ اللُّغَوِيةُ الشائعةُ في الأوساطِ الثقافيةِ؛ محمد عبد الرزاق جمعة.

٢٥- تصويبُ أخطاءٍ لُغَوِيَّةٍ شائعةٍ؛ زهدي أبو خليل.

٢٦- الرسالةُ العذراءُ؛ لأبي اليُسْرِ إبراهيمِ بنِ محمدٍ الشيبانيِّ، والمنسوبةُ خطأً لابنِ المدبرِ[1].

٢٧- جواهِرُ الأَدَب للهاشميِّ.

---

(١) قاله أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٨- نحوَ إتقانِ الكتابةِ باللغةِ العربيةِ أ. د مكِّي الحسَني.

٢٩- فَنُّ الإملاء والترقيمِ لفصيلِ الحاشديِّ.

وأنا أنصحُكَ أَنْ تَجْمَعَ تلكَ الكُتُبَ لمكتبتِكَ وتضعَ لك برنامجًا للقراءةِ لا تحيدُ عنه؛ فتشرعَ في الكتابِ الواحِدِ، عَشْرَ صفحاتٍ قبلَ النومِ، ومثلَها قبل الفَجْرِ أو بعدَهُ، وهكذا بحسبِ وقتِك وِكلَّما وجدْتَ فرصةً اقرأْ عَشْرَ صفحاتٍ زيادةً، ولا تفرِّطْ في وقتِكِ؛ فإنَّ الكتابَ خيرُ أنيسٍ وجليسٍ.

اقـرأْ لتكتُـبَ فيمـا شِـئْتَ معرفـةً فكيفَ يكتبُ مَنْ لـم يَقْـرَأْ الكتُبَـا؟!(١)

٢- إدمانُ القراءةِ:

أَعَـزُّ مَكـانٍ فِـي الـدُّنى سَـرْجُ سَـابحٍ وَخَيـرُ جَلِـيسٍ فِـي الزَّمـانِ كِتـابُ(٢)

لن تصلَ إلىٰ الكتابةِ - التي تسمو إليها نفسُك - إلا علىٰ جِسْرٍ من المشقةِ، والتعبِ.

وأنا أوصيك أَنْ تقرأ كثيرًا، ولتكُنْ قراءَتُك متنوعةً، وتَجْعَلَها شُغْلَك الشاغِلَ في جميعِ أوقاتِك، فهي مِدادُكَ وعُدَّتُكَ في الكتابةِ، وعند قراءتِك لأَيِّ كتابٍ؛ كُنْ كأَنَّكَ تسمَعُهُ من مُنْشِئِهِ فتستفيدَ من أسلوبِهِ، وإقناعِهِ، وتتعلمَ من أخطائِهِ كما تتعلمُ من صوابِهِ.

والعلماءُ المُكثِرون من التأليفِ - رحمَهم اللهُ - ما خَلَدَتْ كُتُبُهُمْ وسارتْ مسيرَ الشمسِ إلا؛ لِأَنَّهم كانوا أصدقاءَ كِتابٍ فهذا ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللهُ يقولُ: «وإني أُخْبِرُ عن

---

(١) دواوينُ الشعرِ العربيِّ (٤٦/ ١١).

(٢) صَيْدُ الخاطِرِ (٤٥٤)، وكذا الآدابُ الشرعيةُ والمِنَحُ المرعيَّةُ (٢/ ٢٥٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حالي، ما أَشْبَعُ من مطالعةِ الكُتُبِ، وإذا رأيتُ كتابًا لم أَرَهُ فكأنِّي وقَعْتُ علىٰ كَنْزٍ، فلو قلتُ إني قد طالَعْتُ عِشرين ألْفَ مُجَلَّدٍ كان أَكْثَرَ، وأنا بَعْدُ في طَلَبِ الكُتُبِ، فاسْتَفَدْتُ بالنَّظَرِ فيها ملاحظةَ سَيْرِ القومِ وقَدْرَ هَمِّهم، وحِفظِهم وعاداتِهم وغرائِبَ عُلومٍ لا يعرفُها مَنْ لم يُطالِعْ قَصِرْتُ أَسْتَزْرِي ما الناسُ فيه، وأحْتَقِرُ هِمَمَ الطُّلابِ»[(١)].

٣- القراةُ لِأَكْثرِ من كاتِبٍ:

تَغَـايَرَتْ أدَواتُ النطـقِ فيـك علـى ... وَصْـفٍ تنـوَّعَ في إحـسانِهِ النـاسُ[(٢)]

أُوصيك أَنْ تُنَوِّعَ قراءتَك، وأَنْ تقرأَ لِأَكثَرَ من كاتبٍ؛ لِأَنَّهُ متىٰ كان لك كاتبٌ مُفَضَّلٌ؛ رَكَدتْ سفينَتُك عندَه، قد تَقَعُ في اقتباسٍ غير مقصودٍ، وربما تكرَّرَ منك ذلك، وهذا من عيوبِ الكتابةِ، ولكَنْ سوفَ تختفي تلك الظاهرةُ، عندما تقرأُ لِأَكثَرَ من كاتبٍ[(٣)].

---

(١) التذكرةُ السعديةُ (٤٢).

(٢) الأفضلياتُ (٣٧).

(٣) لا تقرأْ لكاتِبٍ صاحِبِ شُبُهاتٍ، أو شَهَواتٍ؛ فإنَّ هذا العلمَ دِيْنٌ، ولا تشترِ كتابًا حتىٰ تَنْظُرَ في المُقَدِّمَةِ والفهرسِ، ويتأكَّدُ ذلك قَيْلَ وَضْعِكَ لَهُ في رفوفِ مكتبتِك؛ لِأَنَّكَ رَبُّما تحتاجُ للبَحْثِ في مسألةٍ فيُذَكِّرُكَ الفهرسُ، أنَّ ما تَبْحَثُ عنه موجودٌ في الكتابِ الفُلانيِّ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفَصْلُ الرَّابِعُ

التَّمَرُّنُ والتوسُّعُ في الكتابةِ على نَمَطِ كلامِ البُلَغَاءِ

آخُــذُ العلــمَ مَنْــكَ شــيئًا فــشيئًا أَحْــسَنْ الفَهْــمِ جــاءَ بالتَّــدْرِيجِ[1]

هذا الفصلُ هو خلاصةُ الرسالة وزُبدتها، ومربطُ الفرسِ، وبيت القصيد؛ لأن الهدفَ من صناعة الكتابة هو التمرُّنُ والتوسُّعُ في الكتابة علىٰ نمطِ كلامِ البُلَغَاءِ فنقول:

لا بُدَّ لك أنْ تتمرَّنَ علىٰ صناعةِ الكتابةِ فتبدأ بكتابةِ رسالة صغيرةٍ في نحوِ خمسين وَرَقَةً، تتضَمِّنُها مسألة واحدةٌ، حتىٰ يشتَدَّ عُودُك ويَقْوىٰ ساعِدُك.

وتختارُ من المعاني ما يناسِبُ اللَّفْظُ، وما يناسبُ غَرَضَ الكلامِ، ومقامَهُ، ويحصلُ لك بمطالعةِ كلامِ البُلغاءِ، وتَتَبُّعِ أخبارِهم وسَبْرِ أغوارِهم في انتقاءِ الألفاظِ، فيحصُلُ لك ما لا يَحْصُلُ من دراسة قواعدِ الفصاحةِ والبلاغةِ.

ولهذهِ المعاجلةِ طرائِقُ:

إحداهما: المطالعَةُ.

ثانيها: الحفظ.

ثالِثُها: حَلُّ الشَّعْرِ، وعَقْدُ النثرِ، بمعنىٰ تُصَيِّرُ الشعرَ نثرًا، والنثر نَظْمًا، مع المحافظةِ علىٰ أَصْلِ المعنىٰ، سواءً كان بتغييرٍ مكيلٍ في اللفظ وفي المعنىٰ، أم بدونِهِ.

ومِنْ أَحْسَنِ حَلِّ الشِّعرِ قولُ صاحِبِ «قلائِدِ العقيانِ»: فإنَّه لمَّا قَبُحَتْ فَعْلاتُهُ،

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحَنْطلتْ نَخْلاتُهُ[١]، لم يَزَلْ سوءُ الظِّنِّ يقتادُهُ، ويصدِّقُ تَوَهُّمُهُ الذي يعتادُهُ[٢] حَلَّ به قولَ المتنبي:

إذا سَاءَ فِعْلُ المَرْءِ ساءَتْ ظنونُه ... وصَدَّقَ ما يعتادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ[٣]

وقولُ الخُوارزْميِّ في بعضِ مكاتيبِهِ: «إذا أَحَسَّن من لِسانِهِ بَسْطَةً ووَجَدَ في خاطرِهِ فَضْلةً، وأصابَ من القولِ جَرَيَانًا، قال: ما وَجَدَ بَيَانًا»[٤] فَحَلَّ بذلك قول الشاعِرِ:

وقد وجدتَ مكانَ القولِ ذا سَعَةٍ ... فإنْ وَجَدْتَ لِسانًا قائلًا فَقُلِ[٥]

مع تغييرٍ في اللفظِ والمعنىٰ.

وأما عَقْدُالنَّثْرِ فكثيرٌ ومنه قولُ أبي تمامَ:

أَتَصْبِرُ للبلوى عَزاءً وحِسْبَةً ... فَتُؤجَرَ أَمْ تَسْلُوَّ سُلُوَّ البَهَائِمِ[٦]

عَقَدَ قولَ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للأَشْعَثِ بنِ قيسٍ: «إمَّا صَبَرْتَ صَبْرَ الأحرارِ، وإلا سَلَوْتَ سُلُوَّ البهائِمِ»[٧][٨].

---

(١) حَنْظَلَتْ نَخْلاتُهُ أي صارَتْ كالحَنْظَلِ في المرارةِ.

(٢) «قلائِدُ العقيانِ» (١/ ١٣٢).

(٣) ديوانُ المتنبي (٤/ ١٣٥).

(٤) رسائلُ الخوارزميِّ (١١).

(٥) ديوانُ المتنبي (٣/ ٨١).

(٦)ديوانُ ابي تمامَ (٣/ ٢٥٩).

(٧) آدابُ الدنيا والدين (٤٥٥).

(٨) انظر: أصولُ الإنشاءِ لابنِ عاشورَ (١١١ – ١١٢).

البابُ الثَّانِي

مُهِمَّاتٌ فِي تأليفِ الكُتُبِ العلمية

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفَصْلُ الأَوَّلُ

مبادئُ في التأليفِ

تعريفُهُ - حُكْمُهُ - مَقَاصِدُهُ - فوائِدُهُ

أولًا: تعريفُ التَّأْلِيْفِ:

التأليفُ لُغَةً: تَفْعِيْلُ من أَلِفَ الشيْءَ، إذا انْضَمَّ إليه دائمًا وغالبًا[(١)].

وفي مفرداتِ القرآنِ للأصفهانيِّ: «المؤلَّفُ ما جُمِعَ من أجزاءَ مختلفةٍ ورُتِّبَ ترتيبًا قَدَّم فيه ما حَقَّهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ وَأَخَّرَ ما حَقُّهُ أَنْ يُؤَخَّرَ»[(٢)].

وفي الاصطلاحِ: تأليفُ الكتابِ ضَمُّ بعضِهِ إلىٰ بَعْضٍ حروفًا وكلماتٍ وأحكامًا ونحوَ ذلك من الأجزاءِ، ويُطْلَقُ علىٰ الكتابِ مُؤَلَّفًا؛ لِأَنَّه يَجْمَعُ ويَضُمُّ معلوماتٍ تتعلَّقُ بعلمٍ مُعَيَّنٍ.

وعَرَّفَ الشهرانيُّ التأليفَ بأنه: «إبداعُ العالِمِ أو الكاتِبِ بما يَحْصُلُ في الضميرِ من الصُّورِ العلميةِ في كتابٍ ونحوِهِ»[(٣)].

ثانيًا: حُكْمُ التأليفِ:

التأليفُ من فروضِ الكفايةِ لِمَنْ قَدَرَ عليه، قال الزركشيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «من فروضِ

---

(١) حقوقُ الاختراعِ للشهرانيِّ (٨٣).

(٢) مفرداتُ القرآنِ (٨١).

(٣) حقوق الاختراعِ (٨٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكفايةِ تصنيفُ كُتُبِ العلمِ لِمَنْ مَنَحَهُ اللهُ فهمًا واطلاعًا، ولن تزالَ هذهِ الْأُمَّةُ - مع قِصَرِ أعمارِها - في ازْديادٍ وترقٍّ في المواهِبِ، والعلمُ لا يَحِلُّ كَتْمُهُ، فلو تُرِكَ التَّصْنِيفُ، لضُيِّعَ العلمُ علىٰ الناسِ»[1].

ثالثًا: مَقاصِدُ التَّأليفِ:

عَرَفْنَـاكَ يـا مـولايَ رَبَّ عزيمـةٍ ... وقُدْرَكُ بـالعَزْمِ الـشديدِ المقاصِـدُ[2]

المقاصِدُ هي الطُّرُقُ وما استقامَ منها.

ومقاصِدُ الكتابة هي: أَحَدُ المعاني الثمانيةِ التي ذكرها العلامةُ محمدُ جمالُ الدينِ القاسميُّ رَحِمَهُ اللهُ بقولِهِ: «اختراعُ معدومٍ، أو جمعُ مُتَفَرِّقٍ، أو تكميلُ ناقصٍ، أو تفصيلُ مُجْمَلٍ، أو تهذيبُ مُطَوَّلٍ، أو ترتيبُ مُخْتَلِطٍ، أو تعيينُ مُبْهَمٍ، أو تبيينُ خطإٍ»[3].

وإليك شَرْحُها:

أولًا: «اختراعُ معدومٍ»، أي: لم تُسْبَقْ إليه - فيما تعلمُ وتَعْتَقِدُ -.

ثانيًا: «جَمْعُ مُفترقٍ»، أي مسألةٌ مُشتَّتَةٌ وأدلَّتُها في بطونِ الكُتُبِ، تجمعُها في كتابٍ واحدٍ.

ثالثًا: «تكميلُ ناقصٍ»، أي: أنَّ الموضوعَ لم يَكْتَمِلْ فيه جَانبٌ من الجوانِبِ فتُكمِلُهُ أنتَ.

---

(١) كما في قواعِدِهِ (٣/ ٣٥).

(٢) «ديوانُ أمين تقي الدين» (٣٨).

(٣) قواعدُ التحديثِ للقاسميِّ (٣٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رابعًا: «تفصيلُ مُجْمَلٍ»، أي: أَنَّك تُفصِّلُ المسأَلةَ شيئًا فشيئًا حتىٰ يذهَبَ تراكمُ المعالي، ويتضَّحَ المرادُ.

خامسًا: «تهذيبُ مطوَّلٍ»؛ أي: أَنَّك تلجأُ إلىٰ الاختصارِ دون الإخلالِ.

سادسًا: «ترتيبُ مُخلَّطٍ»؛ أَي: أَنَّك تقدِّمُ وتؤَخِّرُ في ترتيبِ المادَّةِ أوِ الموضوعِ.

سابعًا: «تعيينُ مبهمٍ»؛ أَي: أَنَّك تعيَّن وجودَ موضعٍ خفيٍّ في مسأَلةٍ أو نقطةٍ أو نكتةٍ لِتُظْهِرَهَا، وتجلِّيَ أمرَها.

ثامنًا: «تبيينُ خطإٍ»؛ أَي: أَنَّك تصحِّحُ خطأَ الغَيرِ إذا أَيقنْتَ صوابَ ما أَنتَ عليه، وبعضُهم جَعَلَ المقاصِدَ سبعةً وهوأَدَقُّ؛ لِأَنَّ تفصيلَ المجملِ وتعيينَ المُبْهَمِ من جنسٍ واحدٍ وعلىٰ هذا سار ابنُ خلدون(١).

ونَظَمَ بعضُهم هذه المقاصِدَ السَّبْعةَ بقولِهِ:

ألا فـــاعلمنْ أَنَّ التَّـــأْليفَ سَـــبْعةٌ ... لكـــلِّ لبيـــبٍ في النـــصيحةِ خـــالِصِ

فـشرحٌ لإغـلاقٍ وتـصحيحُ مخطـيءٍ ... وإبـــداعُ حَبْـــرٍ مقـــدمٍ غيـــرِ نـــاكِصِ

وترتيـــب منثـــور وجمـــع مفـــرق ... وتقـــصيرُ تطويـــلٍ وَتَتْمـــيمُ نـــاقِصِ(٢)

وما ذكرهُ العلماءُ إنما هو الأكملُ والأفضلُ؛ وإلا فبابُ التأليفِ مفتوحٌ لِمَنْ قَدَرَ عليهِ إلىٰ أَنْ يَرِثَ اللهُ الأرضَ وَمَنْ عليها؛ ما دامَ الكاتبُ مُتَقَيِّدًا بقيودِ الكتابِ والسُّنَّةِ بِفُهْمِ السَّلَفِ الصالِحِ - رحمَهم اللهُ تعالىٰ -.

---

(١) انظر: مقدمةَ ابنِ خلدونَ (٥٤٩ - ٥٥٠).

(٢) مجموعُ الفوائِدِ المنظومةِ (١٢٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مـــا بالبنـــاءِ اضـــطرارٌ أَنْ تُحَـــسِّنَهُ سـكناكَ يمـلأُهُ حُـسْنًا ويوسِـعُهُ[١]

وتعجبُني رسالةُ العلَّامةِ ابنِ فارسٍ كَتَبَهَا لأبي عمرو بن سعيدٍ الكاتِبِ - رحمَهم اللهُ - ومما جاء فيها: «ألهَمَكَ اللهُ الرشادَ، وأصحبَكَ السدادَ، وجنَّبَك الخلافَ، وحبَّبَ إليك الإنصافَ.

وسَبَبُ دعائي بهذا لكَ إنكارُك علىٰ أبي الحَسَنِ محمدِ بنِ عليٍّ العِجْليِّ تأليفَهُ كتابًا في الحماسةِ، وإعظامُك ذلك.

ولعلَّهُ لو فَعَلَ حتىٰ يصيبَ الغرضَ الذي يريدُه، وَيَرِدَ المنهلَ الذي يؤمُّه، لاستدرَكَ من جيِّدِ الشعرِ ونَقِيِّهِ، ومختارِهِ ورصينِهِ كثيرًا مما فات المؤلفَ؛ عما ذا الإنكارُ؟!

ولَمِهْ هذا الاعتراضُ؟!

ومَنْ ذا حَظَرَ علىٰ المتأخِّرِ مضادَّةَ المتقدمِ؟ ولِمَهْ تَأْخُذُ بقولِ مَنْ قال: ما تَرَكَ الأوَّلُ للآخِرِ شيئًا، وتَدَعُ قولَ الآخَرِ، كَمْ تَرَكَ الأولُ للآخِرِ.

وهل الدنيا إلا أزمانٌ، ولكلِّ زمانٍ رجالٌ؟! وهل العلومُ بعد الأصولِ المحفوظةِ إلا خَطَراتُ الأوهامِ، ونتائجُ العقولِ؟!

ومَنْ قَصَرَ الآدابَ علىٰ زمانٍ معلومٍ، ووقَفَها علىٰ وقتٍ محدودٍ؟

ولِمَهْ لا يَنْظُرُ الآخِرُ مثلما نَظَرَ الأولُ حتىٰ يؤلِّفَ مِثْلَ تأليفِهِ، ويجمعَ مثل جَمْعِهِ، ويرىٰ في كُلِّ مَثَلٍ رأْيَهُ.

---

(١) ديوانُ ابنِ سَهْلٍ (١٨٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وما تقولُ لِفُقهاءِ زمانِنا إذا نزلَتْ بهم من نوادِرِ الأحكامِ نازلةٌ لم تخطرْ علىٰ بالِ مَنْ كان قبلَهم؟

أَوَ ما علمتَ أَنَّ لكلِّ قلبٍ خاطرًا، ولكلِّ خاطرٍ نتيجةً، ولِمَهْ جازَ أَنْ يُقالَ بعد أبي تمامَ مِثْلُ شعرِهِ، ولم يَجُزْ أنْ يؤلَّفَ مثلُ تأليفِ؟!

ولِمَهْ حَجَّرتَ واسعًا وحَظَرْتَ مُباحًا، وحَرَّمْتَ حَلالًا، وسَدَدْتَ طريقًا مسلوكًا؟!» إلىٰ آخر ما قاله في رسالتِهِ الماتعةِ(١).

رابعًا: فوائدُ التأليفِ:

ومُعـــاوِدٌ منـــه اقْتبـــاسَ فوائِـــدٍ لـو شـامَها الأعـشى الكبيرُ تَتَلْمَـذَا(٢)

١ - التَّأليفُ وسيلةٌ من وسائِلِ تبليغِ الدعوةِ:

التأليفُ وسيلةٌ من وسائِلِ الدعوةِ إلىٰ اللهِ باعتبارِها أداةً من أدواتِ التبليغِ، وتُؤدِّي ما يُؤَدِّي إليه القولُ، بل قد تكونُ أبلغَ فإنَّ الذي يبلُغُ بالقولِ يبلُغُ أناسًا في وقتِهِ وفي مكانِهِ والتبليغُ بالتأليفِ يبلُغُ أناسًا في أماكِنَ شتَّىٰ بل أجيالًا لم يُولَدوا بَعْدُ.

قال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «الكتابُ يبلُغُ ما لا يبلُغُهُ الخِطابُ، وهو باقٍ وصاحبُهُ مُوَسَّدٌ تحتَ التُّرابِ».

ويقولُ رَحِمَهُ اللهُ: «رأيتُ من الرأيِ القديمِ أَنَّ نَفْعَ التصانيفِ أكثرُ من نَفْعِ التعليم بالمشافَهَةِ؛ لأني أُشافِهُ في عُمُرِي عَدَدًا من المتعليمين، وأشافِهُ بتصنيفي خَلْقًا لا يُحْصَونَ

(١) انظر: مقاييسَ اللغةِ لابنِ فارسٍ (١/ ١٥ - ٢٠).
(٢) ديوانُ ابنِ نباتَةَ (٧٥١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما خُلِقوا بَعْدُ، ودليلُ هذا أَنَّ انتفاعَ الناسِ بتصانيفِ المُتَقَدِّمين أكثرُ مِنْ انتفاعِهِمْ بما يَستفيدُونه من مشايخِهِمْ؛ فينبغي للعالِمِ أن يتوَّفر على التصانيفِ إنْ وُفِّقَ للتصنيفِ المفيدِ»(١).

٢- التأليفُ وسيلةٌ من وسائِلِ حِفْظِ العِلْمِ:

ومن فوائِدِ التأليفِ أَنَّهُ وسيلةٌ حفظِ العلمِ فلولا التأليفُ لَضَاعَ كثيرٌ من العلمِ، وقد حَثَّ الله ﷻ عبادَهُ على حفظِ الدَّيْنِ عن طريقِ كتابتِهِ فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

«فلمَّا أَمَرَ اللهُ ﷻ بحفظِ الدَّيْن حِفْظًا له واحتياطًا عليه وإشفاقًا من دخولِ الرَّيْبِ فيه، كان العلمُ الذي حفظتُهُ أصعبُ من حفظِ الدَّيْنِ، أحرى أنْ يُكتبَ خَوفًا من دخولِ الشَّكِّ والريبِ فيه، بل إنَّ كتابةَ العلمِ في هذا الزمانِ أقوى حُجَّةً من الحفظِ»(٢).

قال ذو الرُّمَّةِ لعيسى بنِ عُمَرَ: «اكتبْ شعري؛ فالكتابُ أحبُّ إليَّ من الحفظِ؛ لِأَنَّ الأعرابيَّ ينسَى الكلمةَ وقد شَهِرَ في طلبِها ليلَتَهُ، فيضيَعُ في موضِعِها كلمةً في وَزْنِها، ثم ينشدُها الناسَ، والكتاب لا ينَسَى ولا يُبدِّل كلامًا بكلامٍ»(٣).

---

(١) صيدُ الخاطِرِ (١٦٥).

(٢) تقييدُ العلمِ (٧٠ - ٧١).

(٣) «سِيَرُ أعلامِ النَبلاءِ» (٥/ ٣٣٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- أَنَّ العلمَ إذا كان مُدَوَّنًا كان أقوىٰ حُجَّةً:

العلمُ إذا كان مُدَوَّنًا كان أقوىٰ في الاحتجاجِ به وأعَمَّ فائدةً للناسِ.

وقد قال أبو الزنادِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُنَّا نكتُبُ الحلالَ والحرامَ، وكان ابنُ شهابٍ - وهو الإمامُ الزهريُّ - يكتُبُ كُلَّ ما سَمِعَ، فلما احْتِيجَ إليه عَلِمْتُ أنه أعلمُ الناس. وقال: كنتُ أطوفُ أنا والزهريُّ، ومعه ألواحٌ أو صحفٌ فكُنَّا نَضْحَكُ به»(١).

٤- شَحْذُ الهِمَّةِ للعلمِ

أنَّ الانشغالَ بالتأليفِ سببٌ لِشَحْذِ الهِمَّةِ للعلمِ والازديادِ منه.

قالَ ابنُ جُماعَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاشتغالُ بالتصنيفِ والجمع والتأليفِ، لكنْ مع تمامِ الفضيلةِ، وكمالِ الأهليَّةِ، فإنه يَطَّلِعُ علىٰ حقائِقِ الفنونِ ودقائِقِ العلومِ للاحتياجِ إلىٰ كثرةِ التفتيشِ والمطالعةِ، والتنقيبِ والمراجعةِ وهو كما قال الخطيبُ البغداديُّ: يُثَبِّتُ الحفظَ، ويُذكِّي القلبَ ويشحَذُ الطَّبْعَ ويجيدُ البيانَ ويكسبُ جميلَ الذكرِ، وجزيلَ الأجْرِ ويخلدُهُ إلىٰ آخِرِ لدهرِ»(٢).

فصولٌ على تنويعِها اجْتَمَعَتْ بها ... إلى طرفٍ من حَلِّ ضَرْبٍ فوائِدُ

من الذكرِ والتاريخِ فيها ضوابطٌ ... وفيها من الخبرِ الحديثِ أوابِدُ

---

(١) كتابُ الحيوانِ للجاحِظِ (١/ ٤١).

(٢) «تذكرةُ السامِعِ والمتكلِّمِ» (١٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصلُ الثَّاني

رَسْمُ خِطَّةِ التَّأليفِ

سِرْنا على النهجِ نبغي خِطَّةً رَشَدًا تمحو الظنونَ وتبغي كُلَّ تَأْويلِ[1]

ما مِنْ عملٍ ذي بالٍ إلا وبيدَأُ بِخِطَّةٍ مرسومةٍ يسيرُ عليها الْمَرْءُ لا يَحيدُ عنها.

وتنقسِمُ الخطةُ إلىٰ أربعةِ أقسامٍ:

أولًا: مرحلةُ أختيارِ الموضوعِ

١- أَنْ يكونَ له صَدىً في نفسِكَ.

٢- أن يكونَ مما تدعو إليه الحاجةُ.

ثانيًا: مرحلَةُ التَّقْمِيش:

١- جمعُ المراجِع.

٢- القراءةُ في المراجِعِ

٣- استخراجُ ما له علاقَةٌ بالبَحْثِ من المراجعِ وتدوينِها.

٤- تدوينُ الخواطِرِ والفوائِدِ الواقعةِ في غيرِ المراجِعِ.

ثالثًا: مرحلةُ التَّفتيش:

١- رسمُ الخِطَّةِ.

---

(١) ديوان أحمد محرم (٤٣٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- تنفيذُ الخِطَّةِ المرسومةِ.

أ - اختيارُ العنوانِ

ب - المقدمةُ.

جـ - تقسيمُ الخِطَّةِ إلىٰ أبوابٍ وفصولٍ ومباحثٍ.

د - الاعتناءُ بالحواشي.

هـ - الخاتمةُ.

و - الفهرسُ.

رابعًا: مرحلةُ التَّبْيِيْضِ:

١- المراجعةُ.

٢- عرضُ الكتابِ علىٰ أهلِ العِلمِ.

هذه خطواتٌ أربعٌ يلتزمُها الكاتبُ بنفسِ الترتيبِ الذي ذكرناه.

وفيما يأتي الحديثُ عن الخِطَّةِ بشيْءٍ من التَّفْصيلِ:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خِطَّةٌ مفصلةٌ للتأليفِ

أولًا: مرحلةُ اختيارِ الموضوعِ:

هــو روضٌ أطاعَــكَ الْحُــسْنُ فيــه فأطــاعَ الإحــسانَ فيــه اختيــارُكْ[١]

لا تكتبْ إلا في موضوعٍ يلاقي صَدَىً في نفسك، وتَجاوُبًا تامًّا مع مَيْلِكَ وفكرك.

ولك أن تتأمَّلَ في حياةِ الشعراء، فالشاعِرُ إذا مَدَحَ مَنْ له مَعَزَّةٌ ومكانةٌ في نفسِهِ أجادَ وأفاد وبلغَ المرادَ وإذا لم تكنْ له تلك المكانةُ رأيتَ شعرَهُ تقطيعًا وأوزانًا، فلا تكتبْ في موضوعٍ لا تُحِبُّ الكتابةَ فيه، ولا تميلُ إليه نفسُكَ حتىٰ لا تتعثَّرَ في خُطُواتِكَ، أو تُخْفِقَ في عَمَلِك.

ويَحْسُنُ أن يكونَ الموضوعُ كما يأتي:

١- أن يكونَ مما تدعو إليه الحاجةُ، فلا يَخْرُجُ عن مقاصِدِ التأليفِ

٢- أن يكونَ الموضوعُ غَيْرَ مخالفٍ للشرعِ.

٤- أن يكونَ الموضوعُ نافعًا مفيدًا.

ثانيًا: مرحلةُ التقميشِ:

١- جمعُ المراجعِ

ونحررجهــا، فتكــسبُ ثــمَّ تــأوي رجــوعَ النحــل قــد حملــنَ زادا[٢]

إذا وُفِّقْتَ للكتابةِ في موضوعٍ يناسِبُ ميولَكَ، ورغبَتَكَ؛ فذلك بمثابةِ الأرضيةِ التي تحتاجُ أن تبنيَها وهلْ بناءٌ يقومُ بدونِ موادٍّ؟!

---

(١) ديوان شوقي (٥٨٦).

(٢) تتمةُ اليتيمةِ (٤/ ٥٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فأنتَ لا شَكَّ تحتاجُ أن تقومَ بشراءِ كُلِّ ما يلزَمُ البناءَ من أَلِفٍ إلىٰ ياءٍ.

وهو هنا الوقوف علىٰ جميعِ المراجِعِ التي تخدُمُ رسالتَكَ، ومِنْ ثَمَّ الاطلاعُ عليها جميعِها أو علىٰ مُعْظَمِها.

وما من شَكٍّ أَنَّ وقوفَكَ علىٰ المراجِعِ التي تحتاجُ إليها وحُسْنَ استفادتِكَ منها يُعَدُّ حَجَرَ الأساسِ لبناءٍ متكملِ الأركانِ، حَسَنِ البُنيانِ، وربَّما تعثَّرَ البنيانُ لوجودِ نَقْصٍ في بعضِ الموادِّ فتأَمَّلْ!

وجميلٌ أَن تُرَتِّبَ المراجعَ ترتيبًا زمنيًّا لِتَقِفَ علىٰ التطورِ التاريخيِّ لكتابتِكَ، وتقارِنَ بينَ المتأخِّرِ منها والمتقدِّمِ.

بعد هذا تنتقلُ إلىٰ مرحلةٍ جديدةٍ، تستخلصُ الزُّبْدَةَ وتقدمُها لطلابِها بأسلوبِ العصرِ الذي أنتَ فيه.

٢- القراءةُ في المراجِعِ:

عرضْتُ على قلبي السلوَّ فقال لي ... من الآنَ فتِّشْ لا أَعَزَّكَ من صَبْرِ[(١)]

متىٰ اكتملتْ المراجعُ المطلوبةُ فعليك بقراءةِ كلِّ ما لَهُ صِلَةٌ بموضوعِك قراءةً واعيةً، وقد تحتاجُ إلىٰ قراءةِ نصٍّ أو فقرةٍ عِدَّةَ مراتٍ حتىٰ تُحْسِنَ الرَبْطَ بينَها وبين ما يسبقُها ويلحقُه من الأفكارِ.

٣- استخراج ما له علاقة بالبحث من المراجع وتدوينها:

سَطِّرْ ما تراهُ مناسِبًا لكتابِك فإذا كان المرجِعُ بين يديك ويسهلُ عليك الرجوعُ

(١) أدبُ الكاتِبِ للصوليِّ (١٢٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إليه تكتبُ علىٰ بطاقةٍ فكرةً موجزةً عن النصِّ ويُدوَّنُ فيها اسْمُ الكتابِ والجزءِ والصفحةِ؛ فتعودُ إلىٰ الكتابِ بدلالةِ هذه البطاقةِ في الوقتِ المناسِبِ، وفَرِّقْ بين ما تنقلُهُ نقلًا حرفيًّا وما توجزُهُ وتختصرُهُ؛ فَتُقَيِّدُ عبارةَ غيرِكَ بين قوسين(١)، ويكونُ الاقتباسُ بالحجمِ المعقولِ، في المكانِ المناسِبِ، والاطنابُ فيه بحيثُ يقتبسُ الصفحاتِ من غيرِ تعليقٍ ولا ضرورةٍ؛ يعتبرُ عيبًا من عيوبِ الكتابةِ.

ويَحْسُنُ تجريدُ المَتْنِ من الإطنابِ؛ لِأَنَّ الإطنابَ مَحَلُّهُ الحواشي، وبعد الانتهاءِ من النصِّ يدوِّنُ اسمَ الكتابِ والمؤلِّفِ والجزءِ والصفحةِ(٢).

فمِنْ بركةِ العلمِ إرجاعُ كُلِّ قولٍ إلىٰ قائِلِهِ قال السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن بركةِ العلمِ وشكرِه عَزْوُهُ إلىٰ قائِلِهِ... ولهذا لا تراني أذكُرُ في شيءٍ من تصانيفي حرفًا إلا معزوًّا إلىٰ قائِلِهِ من العلماءِ مبينًا كتابَهُ الذي ذُكِرَ مِنْهُ»(٣).

---

(١) فائدةٌ: يسمىٰ ذلك بالاقتباسِ، والاقتباسُ هو دليلُ القراءةِ الواسعةِ، والمعرفةِ التامةِ بالبحوثِ القديمةِ، والحديثةِ، وشخصيةِ الكاتبِ كما تظهرُ من آرائِهِ، وأسلوبِ عرضِهِ، فإنها تتجلىٰ أيضًا من طريقةِ نقلِهِ واقتباساتِهِ؛ فَمِنْ ثَمَّ ينالُ الكاتبُ ثقةَ القارئِ، ويطمئِنُّ لأفكارِهِ وآرائِهِ.

(٢) فائدةٌ: ما تلخِّصُهُ فلا تُقَيِّدْهُ بين قوسين؛ وإنما تكتبُ كلمةَ «انظر» قبل ذكرِ اسمِ المصدرِ وصفحاتِهِ.. لتفرِّقَ بين المنقولِ نقلًا حرفيًّا والمختصرِ، وبعبارةٍ أخرىٰ لا بُدَّ من عزوِ كُلِّ ما تنقلُهُ عن غيرِك إلىٰ مصدرِهِ؛ فما كان نقلُهُ حرفيًّا يقيِّدُ بين قوسين ويذكرُ اسمَ الكتابِ والصفحةِ والجزءِ. وما كان عن غيرِك وإنما صُغْتَهُ بعبارتِك ودَوَّنْتَهُ بأسلوبِكَ فلا يُقَيَّدُ بين قوسين؛ وإنما يُسْبَقُ المصدرُ بكلمةِ «انظر».

(٣) المزهرُ في علومِ اللغةِ للسيوطيِّ (١/ ٣١٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- تدوينُ الخواطِرِ وتقييدُ الفوائِدِ الواقعةِ في غيرِ مراجِعِ البَحْثِ:

أ - تدوينُ الخواطِرِ:

حين تكونُ مُنشغلًا بالكتابةِ، والقراءةِ في المراجِعِ، وأفكارُك تحومُ حولها فإنَّ الخواطِرَ تَتَدَفَّقُ تَدَفُّقَ الأنهارِ، والحَزْمُ أَنْ تَبادِرَ إلىٰ تدوينها قبلَ أنْ تَشْرُدَ عَنْكَ.

والخاطِرُ يجودُ بِأَمرَيْن:

١- مسائِلُ تَقَدَّمَتْ دراستُها قديمًا ولها علاقةٌ بالبَحْثِ.

٢- مسائِلُ جديدةٌ وليدةٌ مع البَحْثِ.

وقد ينقدحُ في ذهنِك - أيضًا - مراجعُ مَرَّتْ بِكَ فلا تُفَرِّطْ في تقييدِ كلِّ ما خَطَرَ لك في حينِهِ(١).

قال محمدُ الحَمْد: «فالاشتغالُ بالتأليفِ، هو الشُّغُلُ الذي لا شُغُلَ بَعدَهُ، والعملُ الذي ينقطعُ إليه المرءُ وحدَهُ، تَجِدُهُ يبحَثُ في مسألةٍ إذا به يعثُرُ علىٰ أُخْرَىٰ ولم يُكْمِلْ الأولىٰ بَعْدُ، تراه يُحَقِّقُ في بحثٍ إذا به يَصِلُ إلىٰ غيرِهِ؛ لِتَشَعُّبِ الكلامِ وارتباطِ بعضِهِ ببعضٍ، وأنَّ كثيرًا ما تطرأ عليه المسائِلُ، وتَنْكَشِفُ له الدقائِقُ، وهو يأْكُلُ، أو يَمْشي، أو يريدُ النَّومَ لذلك يكونُ المؤلِّفُ الخبيرُ بالأحوالِ لا يخلو عن القَلمِ والوَرَقِ أَنَّىٰ سارَ، وحيثما كان يُقَيِّدُ رؤوسَ المسائِلِ التي تَطْرَأُ علىٰ فكرِهِ بَغْتَةً حتىٰ إذا ما رَجَعَ غلىٰ حالةِ الاشتغالِ قَتَلَها بَحْثًا وأشبَعَها درسًا.

تَجِدُهُ يبتعِدُ عن الأهلِ والولدِ؛ خوفًا من أَنْ يَقْطَعَ عليه أَحَدٌ أفكارَهُ، ينفردُ عن الناسِ بنفسِهِ، وقد يصطفي شخصًا من شكلِهِ وجِنْسِهِ، يساعدُهُ علىٰ البحثِ والتنقيبِ، ويُبَيِّضُ له مُسَوَّداتِهِ بنَظامٍ وترتيبٍ»(٢).

---

(١) سيأتي مزيدُ بسطٍ في بابِ الوَقْتِ.

(٢) خواطرُ (١٨٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ب - تقييدُ الفوائِدِ الواقعةِ في غيرِ مراجِعِ البَحْثِ:

كما يَجْمُلُ بك أَنْ تُقَيِّدَ الخواطرَ فَتَقْيِيْدُ الفوائِدِ لا تَقَلُّ أهميةً عن تَقْيِيْدِ الخواطِرِ بل ذلك أعظمُ، فقد تَمُرُّ بك فائدةٌ نفيسةٌ أثناءَ المطالعةِ فلا تَمُرَّ عليها مرورَ الكرامِ بل قَيِّدْها في حينِها أو علِّمْ عليها في كتابٍ فإنَّكَ قد تحتاجُ لها.

ولا يكونُ حالُك كَحَالِ الرَّجُلِ الذي ذَهَبَ إلىٰ سَوقِ الرقيقِ يبحَثُ عن جاريةً تعلَّقَ بها قَلْبُهُ فَتَرَكها إلىٰ غيرِها أجملِ منها فتعلَّقَ بها قلبُهُ تعلُّقًا إلىٰ درجةِ أنه نَسِيَ الأولىٰ، وكأنَه لم يَمُرَّ بها وهكذا ورُبَّما خَرَجَ من السَوقِ خالِيَ الوفاضِ باديَ الإنقاضِ فكذلك الفوائِدُ

وأطيبُ أوقاتي من الدهرِ خلوةً ... يقرُّ بها قلبي ويصفو بها ذهني
ويأخُذُ لي من سَوْرَةِ الفكرِ نشوةٌ ... فَأَخْرُجُ من فَنٍّ وأدخُلُ في فنِّ
ويفهمَ ما قد قال عقلي تصوري ... فنقلي عن أذني وسمعي بها مني
وأسمعُ من نجوى الدفاترِ طُرفةً ... أزيلُ بها همي وأجلو بها حزني
ينادِ مُني قومٌ لديَّ حديثُهم ... فما غابَ منهم غيرُ شخصُهُم عني

ثالثًا: مرحلةُ التَّفْتيشِ:

١- رسْمُ الخِطَّةِ:

لَا تَعْجَلَنَّ إلى شريعةِ مَوْرِدٍ ... حتى تُبَيِّنَ خِطَّةَ الإصدارِ[(١)]

لا بُدَّ للكاتِبِ أَنْ يسيرَ في كتابتِهِ وِفْقَ خِطَّةٍ مرسومةٍ مُعَدَّةٍ مُسْبَقًا وتُعْرَفُ الخِطَّةُ

(١) البصائرُ والذخائرُ (٤/ ٢٠٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بأَنَّها: عبارةٌ عن تقسيمِ البَحَثِ إلىٰ مقدمةٍ وأبوابٍ أو فصولٍ، وخاتمةٍ وفَهْرَسٍ وهي عمليةٌ تنظيميةٌ، تُشْبِهُ الخطوطَ المنتظمةَ التي يضعُها المهندسُ علىٰ اللوحَةِ لتنفيذِها فوقَ سطحِ الأرضِ المُعَدَّةِ للبناءِ، ويمِكنُ أن نتعرَّفَ علىٰ خِطَّةِ أَيِّ بحثٍ من خلالِ النظرِ في فهرسِهِ، لو أمسكْتَ بأَيِّ كتابٍ، ونظرتَ في فهرسِهِ لأمكنَكَ تحديدُ الخِطَّةِ.

٢- تنفيذُ الخِطَّةِ المرسومةِ

إن الكتابــةَ ســارتْ نحــوَ أُنْمُلِــهِ والجــودَ فالتقَيــا فيــه علــى قَــدَرِ(١)

بعد الانتهاءِ من قراءةِ المراجِعِ وتسجيلِ الفوائِدِ والشواردِ سواءً عن طريقِ نقلِ النَّصِّ أو صياغتِهِ صياغةً جديدةً بأسلوبِك، ولا تَقْنَعْ بالنقْلِ والجَمْعِ - فقط - بل أَبْدِ رَأْيَكَ وأظهِرْ شخصيتَكَ علىٰ السطور بما يسطرُهُ قلمُك في الْمقامِ المناسِبِ.

يجبُ أن تكونَ الكتابةُ وِفْقَ ما في الخطةِ كتقسِيمِ الكتابةِ ابتدأ من اختيارِ العنوان إلىٰ مقدمةٍ وأبوابٍ أو فصولٍ، وخاتمةٍ وفهرسٍ كالآتي:

أ - اختيارُ العُنوانِ

لقــد تركــوا سِــفرًا مــن المجــدِ حــافلًا وكُــلُّ لَــهُ في ذلــكَ الــسِّفْرِ عُنــوانُ(٢)

اخترْ العنوانَ الجامِعَ المانِعَ المختَصَرَ

ونقصُدُ بالجامِعِ الذي يَجْمَعُ كُلَّ ما يندرِجُ تَحْتَهُ فـ «الكتابُ يُعْرَفُ من عنوانِهِ» كما يقالُ في المُثَلِ.

---

(١) ديوانُ التهاميِّ (٩٥).

(٢) ديوانُ ابنِ الروميِّ (٨٤٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونقصُدُ بالمانِعِ الذي يَمْنَعُ غَيْرَهُ من الدخولِ فيه.

ونقصُدُ بالمختصَرِ أن يكونَ قليلَ الألفاظِ

ولْنَضْرِبْ لك مثالًا بكتابِ «الشعرُ والشعراءُ» لابنِ قتيبةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فالعنوانُ ذو شِقَّيْنِ؛ الشِّقُّ الأوَّلُ: الشعرُ وما يَتَّصِلُ به من قضايا الإبداعِ والنقدِ، وقد افتتحَ ابنُ قُتيبةَ كتابَهُ بمقدمةٍ توضِّحُ ذلك، والشِّقُّ الثاني في العنوانِ: الشعراءُ وأنسابُهم وأخبارُهم وبيئاتُهم المختلفةُ، ولم يخرجْ ابنُ قتيبةَ عن هذا الإطارِ. تأَمَّلْ العنوانَ «الشعرُ والشعراءُ» يدلُّ دلالةً دقيقةً علىٰ محتوىٰ الكتابِ؛ فهو جامعٌ مانعٌ مختَصَرٌ.

وأنا أوصيكَ ألَّا تذهَبَ بعيدًا عن مضمونِ الكتابِ؛ فإنَّ هذا مما يُعابُ.

قال ابنُ الروميِّ:

ظَبْيُكَ يا ذا حَسَنٌ وجهُهُ ... وما سِوى ذاك جميعًا يُعابْ

فافهمْ كلامي يا أبا مالكٍ ... لا يُشبِهُ العنوانَ ما في الكتابْ

ب - المقدمةُ[1]:

حُسْنُ ابتدائي بذكري جيرةَ الحَرَمِ ... له براعةُ شوقٍ يستهِلُّ دمي

المقدمةُ تحدِّدُ بحثَكَ، وأهميتَهُ، ومن سَبِقَكَ، وما يُميِّزُهُ عن غيرِهِ مع إشارةٍ عابرةٍ لطريقتِكَ الخاصةِ، ومتىٰ احْتَجْتَ إلىٰ تمهيدٍ أو توطئةٍ فلا بَأْسَ ومتىٰ اقتصرتَ علىٰ المقدمةِ فلا ضَيْرَ.

---

(١) جميلٌ أن تكتبَ المقدمةَ بعد الانتهاءِ من الكتاب، وتذْكرَ الأسبابَ التي حَملَتْكَ علىٰ الكتابةِ، وبهذا يقِف القارئُ علىٰ منهجِكَ من غيرِ أن يقضيَ وقتًا طويلًا في التعرُّفِ إلىٰ ذلك بتقليبِ الكتابِ وتَصَفُّحِهِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا بُدَّ أن تتأنَّقَ في المقدمةِ وأنْ تُطْلِقَ لقلمِكَ العَنَانَ فَتُشَنِّفَ الأذانَ بحلاوةِ كلامِك، وروعةِ بيانِك، ورشاقةِ ألفاظِك، فإنَّ هذا حَتْمٌ يَلْتَزِمُ به كُلُّ صاحِبِ قلمٍ فصيحٍ، ورأيٍ صحيحٍ.

قال أهلُ البيانِ: من البلاغةِ حُسْنُ الابتداءِ، ويُسمَّىٰ براعَةَ المطلعِ، وهو أَنْ يتألَّقَ المتكلمُ في أولِ كلامِهِ، ويأتي بأعذبِ الألفاظِ، وأجزلِها وأَرَقِّها، وأسلسها وأحسنِها، نظمًا وسَبْكًا، وأصحِّها مبنىٰ، وأوضحِها معنىٰ وأخلاها من الحَشْوِ، والرِّكَةِ والتعقيدِ، والتقديمِ والتأخيرِ، المُلْبِسِ والذي لا يُناسِبُ.

جـ - تقسيمُ الخِطَّةِ إلىٰ أبوابٍ وفصولٍ ومباحِثَ:

ولــه الفــصولُ المحكمــاتُ كَأَنَّهــا شَــذَراتُ دُرٍّ فُــصِّلَتْ بجــواهِرِ(١)

إذا كان البحثُ محدودًا فيكفي تقسيمُهُ إلىٰ فصولٍ كُلُّ فصلٍ يعالجُ قضيةً معينةً وإذا كان كبيرًا تُقَسِّمُهُ إلىٰ أبوابٍ والأبوابُ تَنْقَسِمُ إلىٰ فصولٍ والفصولُ تَنْقَسِمُ إلىٰ مباحِثَ والهدفُ لَمُّ الشتاتِ فيصيرُ الكتابُ كالجَسَدِ الواحِدِ والكاتبُ مَثَلُهُ مَثَلُ مَنْ يبني بناءً علىٰ ذوقٍ عالٍ بحيثُ يَعْشَقُهُ كُلُّ الناسِ ويَحْسُنُ ترابُطُ الأبوابِ وتقاربُها كارتباطِ الغُرَفِ واتِّصالِها ولا يَحْسُنُ أن يكونَ البابُ الواحدُ عشرينَ صفحةً، وغيرُهُ عَشْرُ صَفَحاتٍ؛ فلا بُدَّ من التقارُبِ؛ فبابٌ يكونُ عشرين صفحةً، وآخَرُ مثلَهُ، أو دونَهُ، أو فوقهُ بقليل.

كما يَحْسُنُ بالكاتبِ أَنْ يُتْقِنَ عَمَلَهُ في كلِّ خُطوةٍ؛ فلا يجعلْ القارئَ يخرجُ من بابٍ، أ وفصلٍ، أو مَبْحَثٍ إلىٰ غيرِهِ إلَّا وقد ألمَّ به وفَهِمَهُ حَقَّ الفهْمِ.

---

(١) ديوانُ اليازجيِّ (٦٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وينبغي له - أيضًا - أن يختارَ عناوينَ الفصولِ والأبوابِ بعنايةٍ فائقةٍ وذوقٍ عالٍ؛ بحيثُ يلفتُ النظرَ ويزيدُ المعنىٰ وضوحًا والكتابَ تأنُّقًا.

وكذلك ترتيبُ الأبوابِ ترتيبًا شَيِّقًا، بحيثُ لو انتهىٰ القارئُ من فصلٍ وَجَدَ نفسَهُ في حاجةٍ إلىٰ الفَصْلِ الذي يليهِ وحالُهُ:

مُتَنَقِّلٌ مِنْ سُؤدَدٍ في سؤددٍ ... مثلُ الهِلالِ جَرَى إلى استكمالِهِ[1]

د - الاعتناءُ بالحواشي:

وعطاءُ غيرِكَ إنْ بَذَلْ ... تَ عنايةً فيه عطاؤكْ[2]

علىٰ الكاتبِ أَنْ يعتنيَ بالحواشي عنايةً بالغةً[3]؛ لفوائِدِها فمن فوائِدِها:

١- تجريدُ المَتْنِ من الإطنابِ.

٢- توثيقُ النصوصِ المُقْتَبَسَةِ، ونسبتُها لأصحابِها.

---

(١) دواوينُ الشعرِ العربيِّ (٣٧/ ٢٠٠).

(٢) التمثيلُ والمحاضرةُ (٩٨).

(٣) بعضُ النَّاس يخلطُ بين ما يُسَمَّىٰ بالحواشي وبين ما يُسَمَّىٰ بالهوامشِ! ويظنُّ أنَّهما شيءٌ واحدٌ.

وهذا خطأٌ والصَّوابُ:

أنَّ الهامشَ: ما كان علىٰ جانبِ الصفحةِ.

وَالحاشيةَ: ما كانتْ أَسفلَ الصفحةِ وتحتَ الكلامِ؛ يفصلُ بينَهما خطٌّ مُعترَضٌ.

أمَّا الهوامشُ؛ فهي قديمةٌ فلمْ تَعُدْ تستعملُ الآنَ ويُفَضَّلُ تركُها؛ لأنها سببٌ في الخلطِ بينهما وبين المَتْنِ.

ولا بأس من استعمالها عند التعليق بقلم اليد في دراسة الكتب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- توضيحُ بعضِ النقاطِ وشرحِها.

٤- تنبيهُ القارئِ علىٰ تذُّكرِ نقطةٍ سابقةٍ أو لاحقةٍ في البحثِ.

٥- الإشارةُ إلىٰ مصادرَ أخرىٰ غنيَّةٍ بالمعلوماتِ، يَنْصَحُ القارئَ بالرجوعِ إليها.

٦- تُمَيِّزُ كلامَ المؤلِّفِ - أو المصنِّفِ -: من كلامِ المُحَقِّقِ، أو الشَّارِحِ.

٧- عَزْوُ المصادِرِ، والمراجِعِ.

٨- شرحُ ما ليسَ له علاقةٌ بالموضوعِ.

٩- إضافةُ أيِّ شيءٍ جديدٍ؛ حتَّىٰ لو كان الكتابُ في مرحلةِ ما قبلَ الأخيرةِ.

وليعلَم الكاتبُ أَنَّ الحاشيةَ غيرُ الأصلِ، فلا يَحْسُنُ ولا يَجْمُلُ تضخيمُها؛ حتىٰ تُصْبحَ أكبرَ حَجْمًا من المتنِ؛ لِأَنَّ ذلكَ سببٌ الفتورِ والمَلَلِ وصاحبُ الأسلوبِ الحَسَنِ لا يرَضىٰ لنفسهِ بذلكَ.

٥- الخاتمةُ:

أَلْحِقْ بحسنِ ابتدائي ما أنالُ به ... حُسْنَ التَّخلُّصِ يتلو حُسْنَ مُخْتَتَمِي

الخاتمةُ تُعطينا الزبدةَ المستخلصةَ من البحثِ، فيذكرُ الكاتبُ الجديدَ الذي أضافَهُ والنتائِجَ التي توصَّلَ إليها، وذلك بإيجازٍ وإعجازٍ وعباراتٍ طناناتٍ، تهتَزُّ لروعتِها النفوسُ، وَيَطْرَبُ لحلاوتِها الأسماعُ فربَّما كان التأنُّقُ - في الختامِ - جابرًا لما عساهُ قد وَقَعَ من نَقْصٍ أو تقصيرٍ.

قال الهاشميُّ: حُسْنُ الخِتامِ هو أَنْ يجعلَ المتكلِّمُ آخرَ كلامَهِ، عذبَ اللفظ، حسَنَ السَّبْكِ؛ صحيحَ المعنَىٰ مُشْعِرًا بالتمامِ حتىٰ تتحقَّقَ براعةُ المَقْطَعِ بحسنِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الختامِ؛ إذ هو آخرُ ما يبقىٰ منهُ في الأسماعِ، وربما حُفِظَ مِنْ بينِ سائِرِ الكلامِ لِقُرْبِ العهد به[١].

كقولِ أبي نواسٍ:

وإنِّـــي جَـــديرٌ إِذْ بَلَغْتُـــكَ بـــالمُنى ... وأنـــتَ لمـــا أَمَّلْـــتُ منـــكَ جَـــديرُ

فـــإن تـــولني منـــكَ الجميـــلَ فأهلـــهُ ... وإلَّا فـــإنِّي عـــاذرٌ وشـــكُورُ[٢]

قالوا: وقد أَتَتْ فواتِحُ السُّوَرِ من القرآنِ المجيدِ علىٰ أحسنِ الوجوهِ وأبلغِها وأكملِها، كالتحمداتِ، وحروفِ الهجاءِ، والنداءِ وغيرِ ذلك[٣].

و - الفهرسُ:

ومـــن حبـــاهُ اللهُ أنبـــاءَ مـــا ... في كُتْبـــه فهـــو لهـــا فِهـــرِسُ[٤]

الفهارسُ: وهي لازمةٌ من لوازِمِ الكتابةِ تُمَكِّنُ القارئَ من الوصولِ للمعلوماتِ بسهولةٍ ويُسْرٍ؛ كما أَنَّها الوَجْهُ الثاني للكتابِ بعد المقدمةِ؛ وهل يُعْرَفُ جوَهرُ أي كتابٍ إلا بعدَ النظَرِ في المقدمةِ والفهرسِ، فيَحْسُنُ التأنُّقُ فيها تَأَنُّقًا لا يَقِلُّ عن المقدمةِ، وَأَوَّلُ التأنُّقِ أن تجعلَ عناوينَ الفصولِ جامعةً مانعةً شَيِّقَةً جذابةً، ومن الأفضلِ أن يكونَ الفهرسُ في بدايةِ الكتابِ قبلَ المقدمةِ، ويكتفي بفهارسِ المصادرِ والمراجعِ، ثم الموضوعاتِ، أو الموضوعاتِ فقط، وإذا كان البحثُ موسَّعًا،

---

(١) جواهرُ البلاغةِ للهاشميِّ رَحِمَهُ اللهُ (١/ ١٨).

(٢) زهرُ الأَكَمِ في الأمثالِ والحِكَمِ (١/ ٣٠٢).

(٣) أنوارُ الربيعِ في أنواعِ البديعِ (٣).

(٤) ديوانُ ابنِ معصومٍ (٢٠٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كالموضوعاتِ التي تتناولُ المخطوطاتِ فيحسُنُ أن تذكَرَ فهرسًا شاملًا، مثل فهرسٍ للآياتِ، وفهرسٍ للأحاديثِ، وفهرسٍ للقوافي، وفهرسٍ للأعلامِ، فهرسٍ للأممِ والقبائِلِ، فهرسٍ للبلدانِ والمواضِعِ، وفهرسٍ لموضوعاتِ البحثِ وأبوابِهِ التي توجدُ بداخلِهِ كُلُّ هذه أنواعٌ من الفهارسِ. والترتيبُ لِكُلِّ نوعٍ بطريقةِ الهجائيةِ أو الأبجديةِ العربيةِ.

رابعًا: مرحلةُ التَّبْيِيضِ:

التَّبْيِيْضُ للكتابِ هو اللَّمْسَةُ الأخيرةُ، قبلَ تسليمِهِ للطبعِ ومن ثَمَّ إخراجُهُ للناس، وقد كان يسمَّىٰ قبلَ ذلك تسويدًا أو مسوَّدَةً.

فكما تحتاجُ العروسُ إلىٰ الزِّيْنَةِ ليلةَ عُرْسِها فكذلك الكتابُ بحاجةٍ إلىٰ تبيضٍ قبلَ إخراجِهِ للناسِ؛ لِأَنَّ كتابَك هو وَجْهكَ تعرَضُهُ عليهم قال الخطيبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ صَنَّفَ فقد جَعَلَ عقلَهُ علىٰ طَبَقٍ يعرِضُهُ علىٰ الناسِ»[1].

ويَشْتَمِلُ التبييضُ علىٰ أَمْرَينِ:

١- المراجعةُ:

ونعني بالمراجعةِ أَنْ تُراجِعَ ما زاغَتْ بِهِ الأقلامُ، أو زَلَّتْ به الأفهامُ فقد كان بَعْضُ السَّلَفِ يُسَوِّدُ كتابَهُ في أيامٍ معدودةٍ ويُبَيِّضُهُ في سنواتٍ مما يَدُلُّكَ علىٰ أهميةِ المراجعةِ.

قال الجاحِظُ: «وينبغي لِمَنْ كَتَبَ كتابًا أَلَّا يَكْتُبَهُ إلَّا علىٰ أنَّ الناسَ كلَّهم لَهُ

(١) سِيَرُ أَعلامِ النُّبَلاءِ (١٨/ ٢٨١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أعداءٌ، وكُلَّهم عالِمٌ بالأمورِ، وكلَّهُمْ متفرِّغٌ له، ثُمَّ لا يَرْضَىٰ بذلك حتىٰ يَدَعَ كتابَهُ عُفلًا، ولا يرضَىٰ بالرَّأي الفطير، فإنَّه لابتداءِ الكتابِ فتنةً وعُجْبًا، فإذا سكنَتْ الطبيعةُ وهدأَتْ الحَرَكَةُ، وتراجَعتِ الأَخلاطُ، وعادَتْ النَّفْسُ وافرةً، أعادَ النظرَ فيه، فَيَتَوقَّفُ عند فصولِهِ توقُّفَ مَنْ يكونُ وَزْنُ طَمَعِهِ في السلامة أنقصَ من وَزْنِ خوفِهِ من العيبِ، ويتفهَّمُ معنىٰ قولِ الشاعِرِ:

إنَّ الحــديثَ تَغُــرُّ القــومَ جلوتُــهُ ... حتــى يلــجَّ بهــم عِــيٌّ وإكْثَــارُ

ويقفُ عند قولهم في المَثَلِ: «كلُّ مُجْرٍ يُسَرُّ»(١).

فيخافُ أن يَعْتَرِيَهُ ما اعْترىٰ مَنْ أَجْرَىٰ فَرَسَهُ وَحْدَهُ، أو خلا بعلمِهِ عند فَقْدِ خُصُومِهِ، وأَهْلُ المنزلةِ من أهلِ الصناعةِ»(٢).

فالجاحظُ ينبِّهُك إلىٰ أَنْ تُتْقِنَ كتابَكَ وتُبَيِّضهُ وتزيِّنَهُ وتَهْذِّبَهُ، وحتىٰ لو أَخَذَ مِنْكَ سنواتٍ فكتابٌ واحدٌ تَصْبِرُ علىٰ تربيتِهِ مهما طالَ العُمُرُ يرفَعُ قَدْرَكَ في الدنيا والآخرةِ خيرٌ من عَشَراتِ الكُتُبِ لا تَصْبِرُ علىٰ تربيتِها فتموتُ قبلِ موتِك.

وها هو النوويُّ يُحَذِّرُكَ من إغفالِ المراجعةِ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيَحْذَرْ من إخراجِ تصنيفِهِ من يَدِهِ إلا بعد تَهذِيْبِهِ، وتَرْدَادِ نَظَرِهِ منه وتكْرِيْرِهِ».

وقال أُسْتَاذُنا – حَفِظه الله –:

نَمَّقْــتَ قولَــك فاســتلذَّ أحبَّــةٌ ... وتلجمَــتْ ببيانِــكَ الأعــداءُ

---

(١) يُضْرَبُ مثلًا للرَّجُلِ تكونُ فيه الخُلَّةَ يَحْمَدُها من نَفْسِهِ، ولا يَشْعُرُ بما في الناسِ من الفضائِلِ.
(٢) الحيوانُ للجاحِظِ (١/ ٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- عَرْضُ الكتابِ علىٰ أهلِ العِلْمِ:

اِعْرِضُ الكتابَ علىٰ أهلِ العلمِ للاستفادةِ من عِلمِهم، وخِبْراتِهم، وتَجَارِبِهِمْ، قال الصوليُّ: «المُتَصَفِّحُ للكتابِ أَبْصَرُ بمواقِعِ الخَلَلِ مِنْ مُنْشِئِهِ»(١).

وقال جَعْفَرُ بنُ يحيىٰ: «اتَّخِذْ كاتبًا مُتَصَفِّحًا لكُتبِك فإنَّ المؤلِّفَ للكتابِ تُنازعُهث أمورٌ، وتعتورُهُ صروفٌ، تشغَلُ قلبَهُ، وتُشَعِّبُ فِكرَهُ، من كلامٍ يُنَسِّقُهُ، وتأليفٍ يُنظمُهُ، ومعنىً يتعلَّقُ به يَشْرَحُهُ، وحُجَّةٍ يوضِّحُها، والمتصفِّحُ للكتابِ أبْصَرُ بمواضِعِ الخَلَلِ من مُبْتدِي تأليفِهِ»(٢).

وعلىٰ أهلِ العلمِ أن يُوَسِّعُوا صدورَهم لخدمةِ إخوانِهِم م طُلَّابِ العلمِ، فإنَّ هذا بابٌ من أبوابِ الدعوةِ إلىٰ اللهِ وبالقوادِمِ والخوافي قُوَّةُ الجَناحِ، وبالأَسِنَّةِ والعوالي عَمَلُ الرِّماحِ.

(١) الإعجازُ والإيجازُ (١١١).

(٢) «مُعْجَمُ الأُدباءِ» (١/ ١١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصلُ الثَّالثُ

نصائح وتوجيهات

هذا الفصلُ اشْتَمَلَ علىٰ نصائِحَ سَنِيَّةٍ يَحْسُنُ أَنْ تُتَّخَذَ دستورًا في طريقِ التأليفِ

أولًا: الأهليةُ قبلَ التأليفِ:

١- اكتبْ في الفَنِّ الذي تُحْسِنُهُ:

جـدواكَ إِنْ تَخْـصُصْ بـهِ فلأهلِـهِ ... وتعـمُّ بالإحـسانِ كُـلَّ مؤمِّـلِ[(١)]

ما أجملَ أَنْ تكتُبَ في تخصُّصِكَ وما هو من اخْتِصَاصِكَ في أي فنٍّ من الفنونِ؛ لِأَنَّ ذلكَ من أعظمِ أسبابِ الإتقانِ، والإبداعِ وقِلَّةِ الوقوعِ في الأخطاءِ؛ وقديمًا قالوا: «مَنْ تكَلَّمَ فِي غَيْرِ فَنِّهِ؛ فَقَدْ أَتَىٰ بِالْعَجَائِبِ».

وقال ابنُ جماعةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ لم يتأَهَّلْ فالإنكارُ عليه مُتَّجِهٌ لما يتضمَّنُهُ من الجهلِ، وتقريرُ مَنْ يَقِفُ علىٰ ذلك التصنيفِ به، ولكونِه يُضَيِّعُ زمانَهُ فيما لم يُتْقِنْهُ، ويَدَعُ الإتقانَ الذي هو أحْرىٰ بِهِ مِنْهُ»[(٢)].

٢- التَّخَصُّصُ:

دَرَجَ العلماءُ قديمًا وحديثًا علىٰ الاختصاصِ؛ فجعلوا - مثلًا -: المحدِّثُ: منوطٌ به دراسةُ علمِ الحديثِ روايةً ودرايةً، جرحًا وتعديلًا؛ وكلِّ شيْءٍ صَدَرَ؛ من حديثٍ، أَو خَبَرٍ، أَو أَثَرٍ، وما يعلَّقُ بها من أَحوالِ الرُّواةِ.

---

(١) معجمُ الأدباءِ (٤/ ١٤٤٠).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم (٨٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأُصوليُّ: مَنُوطٌ به علمُ دراسةِ الأحكامِ الشَّرعيةِ من أَدلَّتِها الأُصوليَّةِ؛ مثل: القرآنِ، والسُّنَّةِ، والإجماعِ، والقياسِ... إلخ، وكيفيَّةِ دلالاتِها اللَّفظيةِ والحُكميَّةِ؛ من أَمرٍ، وَنَهيٍ، وعامٍّ، وخاصٍّ... إلخ.

الفقيهُ: منوطٌ به قِسْمُ العباداتِ، وَقَسْمُ المعاملاتِ، أَوِ السَّياسةِ المدنيةِ؛ فهو المطلوبُ منه أَنْ يُقَعِّدَ القواعِدَ الفقهيَّةَ؛ الَّتي تُبنىٰ من خلالِ علمِ الأُصوليِّ.

المفسِّرُ: منوطٌ به علومُ القرآنِ؛ من التفسيرِ، ومعرفةِ أسبابِ النُّزولِ، وآياتِ الأحكامِ، والجَمْعِ، والترتيبِ، ومعرفةِ المكيِّ والمدنيِّ، وغيرِ ذلك.

المتكلِّمُ: منوطٌ به علمُ المُخَاصَمَةِ، والرَدِّ علىٰ الفِرَقِ الضَّالَةِ الأَربعِ؛ من اليهودِ، والنَّصارىٰ، والمشركينَ، والمنافقين، وأزيدُ: الشَّيعةَ؛ فهم بحاجةٍ إلىٰ أمثالِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ؛ لذا لا أنصحُ المبتدئَ بمحاولةِ مقارَعتِهم.

«ملحوظةٌ»: غالبُ علماءِ الأصولِ؛ من أَهلِ الكلامِ؛ بلا مَلامٍ!

الواعِظُ: منوطٌ به علمُ التَّذكيرِ بآلاءِ اللهِ: كخلقِ السَّمواتِ والأَرَضِين، وإلهامِ العبادِ ما ينبغي لهم، وبيانِ صفاتِ اللهِ القوليةِ، والفعليةِ، والذَّاتيةِ، والتَّذكيرِ بِأَيَّامِ اللهِ القادماتِ، والجنَّةِ والنَّارِ وغيرِ ذلك[1].

ما أحسنَ القولَ فيما أنتَ تُحْسِنُهُ ... لا يُتْقِنُ القوسَ إلا كَفُّ باريها[2]

---

(١) انظر: كيفَ تصنِّفُ أو تؤلِّفُ؟ - منتدياتُ شبكةِ الحَزْمِ الإسلاميةِ لأبي حامدٍ السَّفَارينيِّ.

(٢) قَالَهُ أُسْتَاذُنا - حَفِظَهُ اللهُ -.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيًا: تَخَيُّرُ الوقتِ المناسِبِ والحرصُ على الأوقاتِ:

خُذْها ابنةَ الفِكْرِ المهذَّبِ في الدُّجى واللَّيلُ أسودُ رقعةِ الجلبابِ[1]

أَنْسَبُ أوقاتِ الكتابةِ حين تكونُ النفسُ مرتاحةَ البالِ، خاليةً من الهمومِ، بعيدةً عن الغمومِ.

وأنا أوصيك أَنْ تَأْخُذَ لنفسِكَ قِسْطًا من الراحةِ، وتنامَ جيِّدًا، وتحافِظَ علىٰ قيلولتِكَ، ففي المرحلةِ التي تَعْقِبُها، يكونُ الدماغُ في أحسنِ حالاتِهِ، فيُطلقُ ملكةَ الإبداعِ؛ لتكتُبَ ما يحلو لك كتابتُهُ، وبهذا قال بعضهم: «إذا كان وقتُ السَحَرِ اطْرُقْ عليَّ بابي تعرِفْ موضِعَ رَأْيِي».

وأَوصَىٰ أبو تمامَ تلميذَهُ البحتريَّ بوصيةٍ جامعةٍ لهذا المعنىٰ؛ يقولُ البحتريُّ: «كُنتُ في حَداثَتي أرُومُ الشِّعْرَ، وكنتُ أَرْجِعُ فيهِ إلَىٰ طَبْعٍ، وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَىٰ تَسْهيلِ مَأْخَذِهِ، ووجُوهِ اقْتِضابِه، حتىٰ قصدتُّ أبا تَمَّامٍ، وانقطعتُ فيه إليه، واتَّكَلْتُ في تَعريفِهِ عليه؛ فكانَ أَوَّلَ ما قال لي: يا أبا عُبادة؛ تخيَّرْ الأوقاتَ وأنت قليلُ الهُمومِ، صِفْرٌ من الغُمومِ. واعْلَمْ أَنَّ العادةَ جَرَتْ في الأوقاتِ أن يقصدَ الإنسانُ لتأليفِ شَيْءٍ أو حِفْظِه في وَقْتِ السَّحَرِ؛ وذلكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحةِ، وقِسْطَهَا مِنَ النَّوْمِ...»[2].

---

(١) ديوان أبي تمام (٢٩).

(٢) محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيقٍ القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (٢/ ١١٤ - ١١٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تنْبِيْهٌ حولَ تقسيمِ الوَقْتِ:

يَقِـــظٌ يُنَبِّـــهُ كامنـــاتِ خِـــصالِهِ تَنْبِيْـــهَ معرفـــةٍ وخُبْـــرٍ واسِـــعِ

أُخْبِرُكَ أَنَّهُ يَحْسُنُ أَنْ تُقَسِّمَ وَقْتَك إلىٰ قِسمين:

القِسْمُ الأوَّلُ: وَقْتُ التأليفِ والكتابةِ.

والقِسْمُ الثاني: وقتٌ للقراءةِ في المراجِعِ سِيَّما فيما يَتَعَلَّقُ بالبَحْثِ.

وهذا القسمُ الثاني تَتَوارَدُ فِيْهِ الخواطِرُ وتَزْدَادُ كُلَّما وَقَفْتَ علىٰ فائدةٍ نفيسةٍ وهكذا وكلَّما خَطَرَتْ لك خاطرةٌ جديدةٌ فإنها تَحُلُّ في فِكرِكَ مَحَلَّ أُخْتِها وهكذا فلا تستفيدُ مِنْ توارُدِ الخواطِرِ إذا لم تُقَيِّدْها في حينِها.

وقُلْ مِثْلَ ذلك في توارُدِ الفوائِدِ في غيرِ مراجِعِ البَحْثِ وقد يَنْقَدِحُ في ذِهْنِكَ ما يأتي:

١- حَذْفُ حَشْوٍ.

٢- تَعْدِيلُ عبارةٍ.

٣- تغييرُ ترتيبٍ.

٤- تَذَكُّرُ فائدةٍ مَرَّتْ بِكَ.

٥- تذكُّرُ مسائِلَ لم يَتِمَّ تدوِيْنُها.

٦- صياغةُ أسلوبٍ أَجْمَلَ.

وغيرُ ذلك مما يَخْدُمُ البَحْثَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومتىٰ أَجَّلْتَ الكتابةَ دقائِقَ لن تَظْفَرَ بها؛ لِأَنَّ الباحِثَ متىٰ أَخْلَصَ في بحثِهِ فإنَّ الخواطِرَ كأسرابِ الظِّباءِ فلا يَكُنْ حالُك

تكاثَرَتْ الظباءُ على خُراشِ ... فما يَدْرِي خُراشٌ ما يَصِيْدُ

ولْيَكُنْ حالُكَ:

وإِنْ كنتُ لا أرمي الظِّباءَ فإنَّني ... أَدُسُّ لها تحتَ التُّرابِ الدواهيا

وأُوصيك أَنْ تَسْتَصْحِبَ قلمًا وكناشًا «كراسةٌ صغيرةٌ» لِيَحْصُلَ المسارعَةُ إلىٰ تقييد ما يَنْقَدِحُ في الذِّهْنِ حين جريانِهِ في الخاطِرِ وتقييدُ ما يَمُرُّ بك حالَ القراءةِ في المراجعِ أو في غيرِها وغالبًا ما تكونُ الخَواطِرُ نتيجةَ قراءةٍ قديمةٍ؛ لِأَنَّ الشيءَ بالشيءِ يُذْكَرُ.

فاللهَ اللهَ لا أحتاجُ أَنْ أُوصِيكَ أَكْثَرَ من قولِ الشاعِرِ:

العلمُ صيدٌ والكتابةُ قَيْدُهُ ... قَيِّدْ صُيُودَكَ بالحِبالِ الواثِقَةْ

فَمِنَ الحماقةِ أَنْ تَصِيْدَ غزالةً ... وتَرُدَّها بين الخلائِقِ طالِقَةْ

ثالثًا: العنايةُ بالألفاظِ انتقاءً وإيجازًا

١- إِحْرِصْ علىٰ انتقاءِ الألفاظِ:

مصقولةَ الألفاظِ يلقاها الفتى ... مِنْ كُلِّ جارحةٍ بسَمْعٍ واعِ[1]

علىٰ الكاتِبِ انتقاءُ الألفاظِ السهلةِ المُسْتَعْذَبَةِ؛ فإنَّ الألفاظَ المستعذبةَ هي التي تستهوِي القارئَ، وتَشُدُّ انتباهَهُ، ولها تأثيرٌ بالغٌ يعرف ذلك صغارُ الطلَّابِ قبلَ كبارِهم.

(١) ديوانُ ابنِ عنينَ (٢٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابنُ الأثيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومَنْ له أدنىٰ بصيرةٍ يعلمُ أَنَّ للألفاظِ في الأُذُنِ نغمةً لذيذةً كنغمةِ أوتارٍ، وصوتًا مُنكرًا كصوتِ حِمارٍ، وأَنَّ لها في الفَمِ أَيْضًا حلاوةً كحلاوةِ العَسَلِ، ومرارةً كمرارةِ الحَنْظَلِ، وهي علىٰ ذلك تجري مجرىٰ النَّغَماتِ والطُّعومِ»(١).

وقال: «اعلمْ أَنَّ الألفاظَ تجري من السمعِ مجرىٰ الأشخاصِ من البَصَرِ، فالألفاظُ الجَزِلَةُ تُتَخَيَّلُ في السمعِ كأشخاصٍ عليها مهابةٌ ووقارٌ، والألفاظُ الرقيقةُ تُتَخَيَّلُ كأشخاصٍ ذوي دماثةٍ ولينِ أخلاقٍ ولطافةِ مزاجٍ، ولهذا ترىٰ ألفاظَ أبي تمامَ كأَنَّها رجالٌ قد رَكِبوا خيولَهم، واسْتَلْأموا سلاحَهم، وتأهَّبوا للطِّرادِ، وترىٰ ألفاظَ البُحتريِّ كأَنَّها نساءٌ حِسانٌ عليهِنَّ غلائِلُ مُصَبَّغاتٌ وقد تَحَلَّيْنَ بأصنافِ الحُلِيِّ، وإذا أنعمتَ نظرَكَ فيما ذَكَرْتُهُ ههنا وجَدْتَنِي قد دَلَلْتُكَ علىٰ الطريقِ، وضَرْبُ لك أمثالًا مناسبةً»(٢).

قال الثعالبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

سبحانَ ربي - تبارَكَ اللهُ - ما ... أَشْبَهَ بعضَ الكلامِ بالعَسَلِ
والدرِّ والسحرِ والرقى وابنةِ الـ ... ـكَرْمِ وحلي اللسانِ والحُلَلِ(٣)

وقال الصاحبُ بنُ عَبَّادٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

باللهِ قُلْ لي أقرطاسٌ تَخُطُّ به ... من حُلَّةٍ هو أَمْ ألبَسْتَهُ حُلَلا
باللهِ لفظُكَ هذا سالَ من عَسَلٍ ... أم قد صَبَبْتَ على أفواهِنا عَسَلا

---

(١) المَثَلُ السائِرُ (١/ ١٥٦).
(٢) المرجِعُ السابِقُ (١/ ١٨١).
(٣) أحسنُ ما سمعتُ (٢٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ - البعدُ عَنْ أَلفاظِ التَّعالِي وِكَبَرِها:

ومضمخِ المِسْكِ في وَجَناتِهِ ... حَسَنِ الشمائلِ ساحِرِ الألفاظِ[١]

الألفاظُ تفصِحُ عن تواضُعِ الكاتِبِ وكِبْرِهِ، فألفاظُ المتواضِعِ: كنساءٍ أبكارٍ يَمْشِينَ علىٰ استحياءٍ، تكادُ إحداهُنَّ أن تَسْقُطَ علىٰ الأرضِ من شِدَّةِ الحياءِ؛ فالنفوسُ إليهِنَّ تائقةٌ، والقلوبُ وامقةٌ، والعيونُ رامقةٌ، والأرواحُ عاشقةٌ. وألفاظُ المتكبرِ: كنساءٍ غُجَرٍ ثيِّباتٍ مسترجلاتٍ؛ يضربْنَ الأرضَ بأقدامِهِنَّ ضربَ الشُّرَطِ، ويحرِّكْنَ أيدِيَهُنَّ وصدورَهُنَّ تحريكَ العِلْجِ؛ فلا النفوسُ تشتاقُ لَهُنَّ، ولا القلوبُ تَحِنُّ إليهِنَّ.

ومِنْ ألفاظِ الكِبْرِ ما ذَكَرَهُ ابنُ القَيِّمِ في كتابِهِ «زادُ المَعَادِ»: «وَلْيَحْذَرْ كُلَّ الحَذَرِ من طُغيانِ (أنا، وَلِي، وعِنْدِي)، فإنَّ هذِهِ الألفاظَ الثلاثةَ؛ ابْتُلِيَ بِهَا إبليسُ، وفرعونُ، وقارونُ.. فـ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ لإبليسَ، و﴿لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ لفرعونَ، و﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ لقارونَ»[٢].

يا رُبَّ معنىً بعيدِ الشأوِ أسلُكُهُ ... في سلكِ لفظٍ قريبِ الفهمِ مختصرِ

لفظًا يكونُ لعِقْدِ القولِ واسطة ... ما بينَ منزلةِ الإسهابِ والخَصَرِ[٣]

٣ - الاختصارُ:

ويَجْذِبُني كتابُكَ إذْ أراهُ ... قليلَ اللفْظِ متَّسعَ المعاني[٤]

---

(١) ديوانُ أبي تمامَ (٦٣٦).

(٢) «زاد المعاد» (٢/ ٤٣٤).

(٣) ديونُ التهاميِّ (٩٤ - ٩٥).

(٤) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليك بالاختصارِ؛ فإنَّ أكثرَ ما عليه الناسُ في «البلاغةِ» أنها: «الاختصارُ، وتقريبُ المعنىٰ بالألفاظِ القِصارِ» وقد سُئِلَ بعضُهم عن البلاغةِ فقال: «هي لمحةٌ دالَّةٌ». هذا مذْهَبُ العربِ، وعادتُهم في العبارةِ، فإنهم يشيرون إلىٰ المعاني بأوجزِ إشارةٍ! ويَسْتَحِبُّون أن تكونَ الألفاظُ أقلَّ من المعاني في المقدارِ والكَثْرةِ»(١).

قال عمرو بنُ بحرٍ الجاحِظُ: «دَرَجَتْ الأرضُ من العربِ والعَجَمِ علىٰ إيثارِ الإيجازِ، وحَمْدِ الاختصارِ، وَذَمِّ الإكثارِ والتَّطويلِ والتكرارِ، وكلِّ ما فَضُلَ عن المقدارِ»(٢).

ولك أَنْ تنظرَ لأهلِ زمانِك؛ هل لهم همةٌ لتجريدِ القصارِ فضلًا عن الطوالِ كما كان عليه السلفُ، فإذا لم تَجِدْ ذلك فلا ترهِقْهُم.

وأنا أُحذرُك الاختصارَ المُخِلَّ؛ فأنه مظنَّةُ الخيْبَةِ، قال عمرو بنُ مسعدةَ: «إذا كان الإكثارُ أبلغُ كان الإيجازُ تقصيرًا، وإذا كان الإيجازُ كافيًا كان الإكثارُ عيًّا»(٣).

وجاء في «أدبِ الكاتبِ»: «والذي عندي أنه يحتاجُ الكاتبُ والخاطِبُ والشاعرُ، إلىٰ أَنْ يخرجوا معانِيَهم في أقواتِها من الألفاظِ، علىٰ الاختصارِ، ما لم يُحْتَجْ إلىٰ إكثارٍ، فإن احتيجَ إلىٰ ذلك جيءَ به بما لا بُدَّ منه»(٤).

وحـديثُها الـسِّحرُ الحـلالُ لـو أنَّـه ... لـم يَجْـنِ قتـلَ المـسلمِ المتحـرِّزِ

---

(١) الإعجازُ والإيجازُ (٦).

(٢) رسائلُ الجاحِظِ (٤/ ١٥١).

(٣) أمالي القالي (١/ ٢٢٢).

(٤) أدبُ الكاتبِ للصوليِّ (٢٢٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن طـالَ لـم يُمْلَـل وإن هـي أوجـزَتْ ودُّ المحـدِّثُ أنَّهـا الـم تـوجزِ[١]

٤ - تَحْسِيْنُ الكتابةِ:

كاتـبٌ مُحْـسِنُ البيـانِ صِـناعُهْ اسـتحَفَّ العقـولَ حِيْنًـا يَراعُـه[٢]

الناسُ يتأنَّقونَ في البنيانِ ويتفنَّنون في بناءِ الحدائِقِ والمتنزَّهاتِ، أملًا في جَذْبِ الزبائِنِ، ولَفْتِ الأنظارِ، ورضا الناسِ وراحَتِهِمْ؛ أفلا نكونُ - نحنُ - أربابُ الأقلامِ وأصحابُ الكلماتِ أولَىٰ مَنْ يَتَفَنَّنُ بانتقاءِ الكلماتِ، وبراعةِ اللفظِ وحُسْنِ الطرحِ، وجمالِ الأسلوبِ؛ طلبًا لرضا القارئِ الكريمِ؛ فيَجِدُ في بُستَانِ العلمِ وحَقْلِ المعرفةِ، ما يُريحُ الخاطِرَ، ويُبْهِجُ القلبَ، ويُسْعِدُ النَّفْسَ.

يقولُ الحَسَنُ بنُ بِشْرٍ الآمديُّ:

«إنَّ حُسْنَ التأليفِ وبراعةَ اللفظِ يزيدُ المعنىٰ المكشوفَ بهاءً وحُسْنًا ورونقًا؛ حتىٰ كأنَّهُ قد أحدثَ فيه غرابةً لم تَكُنْ، زيادةً لم تُعْهَدْ»[٣].

رابعًا: الأُسلوبُ:

١- اكتبْ بأسلوبِكَ:

أحْكَمْـتَ مـن لغـةِ البيـانِ أصـولَها وجمـالَ أسـلوبِ أَغَـرَّ مُبـينِ![٤]

---

(١) أمالي القالي (١/ ٨٤).

(٢) ديوانُ أحمد شوقي (٤٤٩).

(٣) «تاريخُ البلاغةِ» مازنُ المباركُ (١٠٠).

(٤) ديوانُ سحنونَ رَحِمَهُ اللهُ (١/ ٢٥١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هيهاتَ هيهاتَ أَنْ يَجْرِيَ قلمُكَ في ميدانِ البيانِ بغيرِ عِنانٍ تتقدَّمُهُ العباراتُ الرائقةُ، والمعاني الشيِّقةُ؛ حتىٰ تكتبَ علىٰ سجيَّتِكَ، غيرَ مُقَلِّدٍ لغيرِك؛ فالتقليدُ قيدٌ يَحُدُّ من انطلاقِكَ، وكم من أصواتٍ بحَّتْ، وهي تنادي بِكسْرِ قيودِ التقليدِ، ولكن لا حياةَ لِمَنْ تنادي.

ومتىٰ رأيتَ في كتابتِكَ تكلُّفًا، وفي أسلوبِك تصنُّعًا فاعلمْ أنك مربوطٌ فيك سِحْرُ التقليدِ.

٢- اُكْتُبْ بعواطِفِكَ:

وكـأنَّ قلبَـكَ حـينَ تَكْتُـبُ نـاطقٌ يُمْلـي وكـفُّ كاتـبٌ ويـراعُ[١]

العاطفةُ المُتَدَفِّقَةُ، روحُ الكتابةِ وقِوامُ حياتِها، ولن تَمْلِكَ زمامَ الكتابةِ؛ حتىٰ تبعثَ الروحَ في كلِّ كلمةٍ تَخُطُّها بنانُكَ، وتضعَ اللمسةَ الحانيةَ علىٰ الحروفِ؛ ولا يكونُ ذلك إلا بحضورِ قلبِكَ، إخلاصِكَ، صدقِكَ، حُبِّكَ، حنانِك، قناعتِك بما تَكْتُبُ؛ فمتىٰ غابَ عنك ذلك كلُّهُ لحظةَ الكتابةِ؛ فأَجْزِمُ أَنَّ الكتابةَ جسدٌ بلا روحٍ.

ولا تذهبْ بعيدًا فيذهَبَ روحُ الكتابةِ حيث ذَهَبْتَ؛[٢] بل ظَلَّ مع القارئ كأَنَّهُ ماثلٌ أمامَك، حتىٰ آخِرِ كلمةٍ، تَبُثُّه نجواكَ؛ كأَنَّهُ حبيبٌ، لا حبيبَ لك سواهُ، وإذا شعرْتَ بفتورِ العاطفةِ فأمسِكْ، حتىٰ تَجِدَ من نفسِكَ نشاطًا.

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -.

(٢) لا يَحْسُنُ بالكاتِبِ أن يُرَكِّزَ علىٰ الأخطاءِ الإملائيةِ، والنحويةِ، أثناءَ الكتابةِ فالمُهِمُّ أن يَظَلَّ مَنْسَجِمًا مع القارئِ، بروحِهِ، وقلبِهِ، ثم ينظرُ في الأخطاءِ ويَتَجَمَّلُ ويُحَسِّنُ ويقدِّمُ ويؤخِّرُ وصولًا إلىٰ التمامِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واعلمْ، أن غالبَ مَنْ يقرأُ اليومَ نِسبَةُ العاطفةِ عندَهم مرتفعةٌ؛ لهذا تجدُهم يَبْحَثون عن كاتبٍ يوافقُ تطلُّعاتِهم ورغباتِهم؛ فإذا حَظَوْا بهذا النوعِ، أناخوا عنده رَحْلَهُمْ، وتَخالُهُمْ يتابعون إصداراتِهِ؛ نظرًا لتعلُّقِهم بهذا الفَنِّ الجميلِ من الكتابةِ.

عِشْ بالشُّعورِ وللشُّعورِ فإنَّما ... دنياكَ كونُ عواطفٍ وشعورِ
شِيدَتْ على العطْفِ العميقِ وإنَّها ... لتجفُّ لو شِيدتْ على التفكيرِ
وَتَظَلُّ جَامِدَةَ الجمالِ كئيبةً ... كالهيكلِ المتهدِّم المهجورِ
وتَظَلُّ قاسيةَ الملامحِ جهمةً ... كالموتِ مُقْفِرةً بغيرِ سرورِ
لا الحبُّ يرقُصُ فوقها مغنِّيًا ... للنَّاسِ بين جَداولٍ وزهورِ[1]

٣- الابْتِكارُ:

ينبغي أَنْ تكونَ أساليبُ الكتابةِ، ووسائِلُها مُتجدِّدَةً فَتُكْتَبَ بأسلوبِ العَصْرِ ولُغَتِهِ.

فالذي يَكْتُبُ بطريقةٍ واجدةٍ يَجِدُ من القارئ المَلَلَ والفُتُورَ.

والتَّنْوِيْعُ في الكتابةِ يَبْعَثُ في النَّفْسِ روحَ النشاطِ فَيَجِدُ من القارئِ قبولًا وتفاعُلًا.

وتنمو مَلَكَاتُ الابتكارِ في ظِلِّ التَّحَرُّرِ من أَسْرِ التَّشَبُّهِ والمُحاكاةِ والتقليدِ.

٤- التوسُّطُ بين الإمتاع والإقناعِ:

عليكَ بأوساطِ الأمورِ فإنَّها ... نجاةٌ ولا تركَبْ ذَلولًا ولا صَعْبا[2]

---

(١) ديوانُ أبي القاسِم الشابيِّ (٦٧).

(٢) أحسنُ ما سمِعْتُ للثعالبيِّ (٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قد تَشْرَعُ في الكتابةِ، وليس لك هَمٌّ غيرُ الإقناعِ فتُسارِعُ إلىٰ حَشْدِ أدلةِ: النقلِ، والعقلِ، والإجماعِ، والفطرةِ؛ وهذا أمرٌ مطلوبٌ لا شَكَّ؛ لكنْ قد يُسَلِّمُ لك القارئُ من الناحيةِ العقليةِ، ثم يظَلُّ غيرَ مقتنعٍ من الناحيةِ العاطفيةِ؛ لِأَنَّهُ لم يَجِدْ في كتابِك ما يروي عواطفَهُ من الإمتاعِ المطلوبِ وهذا - لَعَمْرِي - حالُ أكثرِ الناسِ إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ؛ لهذا كان الجمعُ بين الإقناعِ، والإمتاعِ، بينَ خِطابِ العَقْلِ، والعاطفةِ في وقتٍ واحدٍ، من صفاتِ الكاتبِ الناجِحِ.

٥- لِكُلِّ مقامٍ مقالٌ:

تحـــنَّنْ علـــيَّ هَـــدَاكَ المليـــكُ فـــإنَّ لكـــلِّ مقـــامٍ مَقـــالَا[1]

لكلِّ مقامٍ مقالٌ فمقامُ الرِّفْقِ كالترغيبِ تناسِبُهُ الكلماتُ الرقيقاتُ ومقام الشدةِ كالترهيبِ تناسِبُهُ الكلماتُ الجَزِلَةُ؛ قال ابنُ الأثيرِ رَحِمَهُ اللهُ: «الألفاظُ تَنْقَسِمُ في الاستعمالِ إلىٰ جَزِلَةٍ ورقيقةٍ، ولكلٍّ منهما موضِعٌ يَحْسُنُ استعمالُهُ فيه.

فالجَزِلُ منها يُسْتَعمَلُ في وصْفِ مواقِفِ الحروبِ، وفي قوارِعِ التهديدِ والتخويفِ، وأشباه ذلك.

وأما الرقيقُ منها فإنه يُسْتَعْمَلُ في وصفِ الأشواقِ وذكرِ أيامِ البِعادِ، وفي اسْتجلابِ المودَّاتِ، وملايناتِ الاستعاطفِ، وأشباهِ ذلك.

ولستُ أعني بالجَزِلِ من الألفاظِ أَنْ يكونَ وحْشِيًّا متوعِّرًا عليه عنجهيَّةُ البداوةِ، بل أعني بالجَزِلِ أن يكونَ متينًا علىٰ عذوبتِهِ في الفَمِ ولذاذتِهِ في السمعِ، وكذلك لستُ أعني بالرقيقِ أن يكونَ ركيكًا سَفْسَفًا، وإنما هو اللطيفُ الرقيقُ الحاشيةِ الناعِمُ الملمَسِ.

---

(١) الكاملُ في الأدبِ (٢/ ١٤٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فمثالُ الأولِ: وهو الجَزِلُ من الألفاظِ - قولُهُ تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [٦٨ - ٧٠].

وأما مثالُ الثاني: وهو الرَّقِيقُ الألفاظِ - فقولُهُ تعالىٰ في مخاطبةِ النبي - ﷺ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ إلىٰ آخرِ السورةِ، وكذلك قولُهُ تعالىٰ في ترغيبِ المسألةِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1].

وبعدَ أَنْ عرفتَ مَقامَ الألفاظِ؛ أُنَبِّهُ إلىٰ اجتنابِ صيغةِ الأمرِ والنهي، في الكتابةِ، أو الخطابةِ، وما جرىٰ مجرىٰ ذلك؛ لِأَنَّهُ سَوْطُ وليِّ الأمرِ مع رعيتِهِ، والأبِ مع أهلِهِ وأولادِهِ.

قاسَ المعاني على الألفاظِ فانْطَبَقَتْ ... وخَصَّ كلَّ مَقامٍ بالذي يَجِبُ

٦ - اكتبْ كُلَّ فنٍّ بطريقةِ أهلِهِ:

تاللهِ لو كانَ الكرامُ بلاغةً ... كانَ الكريمُ المعجزَ الأُسلوبِ

قبلَ أَنْ تكتُبَ تأمَّلْ أسلوبَ من سَبَقَكَ تَجِدْ لِكُلِّ فَنٍّ أسلوبًا خاصًا؛ فالكتابُ إِنْ كان حديثيًّا فيمكنُ أَنْ تستخدمَ فيه أسلوبَ أهلِ الحديثِ.

وَأمَّا إن الكتابُ فقهيًّا؛ فتستخدمُ فيه أسلوبَ أهلِ الفِقْهِ.

---

(١) المَثَلُ السائرُ (١/ ١٧٣ - ١٧٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإنْ كانَ الكتَابُ عقائديًّا؛ فتنظرُ إلىٰ أسلوبِ كُتُبِ العقائِدِ.

وإن كانَ الكتابُ نحويًّا؛ فتستخدمُ أسلوبَ أهلِ النحوِ.

ويمكنُكَ أن تَنْظُرَ في أيِّ مرجَعٍ من المراجِعِ الحديثيَّةِ، أو الفقهيَّةِ، أو العقديَّةِ، أو النحويةِ؛ ثم تعملُ الكتابَ علىٰ نَسَقِهِ.

وهكذا في بقيةِ الفُنُونِ.

خامسًا: الحَذَرُ ممَّا يُشَوِّهُ التأليفَ:

هناكَ أمورٌ قد تَتَسَبَّبُ في تشويهِ التأليفِ.

١ – العَجَلَةُ:

اصبرْ علىٰ قُحَمِ النَّوائبِ مثلَ ما ... صَبَرَتْ لها آباؤك الأشرافُ[١]

قال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تصنيفُ العالِمِ وَلَدُهُ المُخَلَّدُ»[٢].

وكان شيخُنا الوادعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يقولُ: «إني لَأَفْرَحُ بالكتابِ يخرجُ أعظمَ من فرحي بالولَدِ».

فمن الطبيعيِّ أَنْ تكونَ مملوءًا بالحماسِ، راغبًا في رؤيةِ مولودِك الذي – طالما – انتظرتَهُ طويلًا ليرىٰ النورَ؛ ولكن بقليلٍ من الصبرِ حتىٰ تُصْلِحَ الكتابَ وتزِّينَهُ وتجمِّلَهُ وتَعْرِضَهُ علىٰ غيرِك من أهلِ الخبرةِ، «فالمتصفحُ للكتابِ أبصرُ

(١) الأشباهُ والنظائِرُ (١٢٥).

(٢) صيدُ الخاطِرِ (٤٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بمواقِعِ الخللِ من مَنْشَئِهِ» كما قال الصوليُّ(١).

وقال بعضُ رؤساءِ الكتابِ: «ليس أَحَدٌ أولىٰ بالأناةِ والرويَّةِ من كاتبٍ يَعْرِضُ عَقْلَهُ، وَيَنْشُرُ بلاغَتَهُ؛ فينبغي له أَنْ يعملَ النسخَ، ويقبلَ عَفْوَ القريحةِ، ولا يستكرهَها، ويعملَ علىٰ أنَّ جميعَ الناسِ أعداءٌ له، عارفون بكتابِهِ، منتقدون عليه، متفرِّغون إليه»(٢).

وقال آخرُ: «إن لابتداءِ الكلامِ فتنةً تروقُ، وجدةً تُعجبُ، فإذا سكنتْ القريحةُ، وعدلَ التأملُ، وصفتْ النفسُ فليُعدْ النظرَ، وليكُنْ فرحُهُ بإحسانِهِ مساويًا لغَمِّهِ بإساءتِهِ»(٣).

وقال العمادُ الأصفهانيُّ: «رأيتُ أنه لا يكتبُ إنسانٌ كتابًا في يومِهِ إلا قال في غَدِهِ: لو غُيِّرَ هذا لكانَ أَحْسَنَ، ولو زِيدَ كذا لكانَ يُسْتَحْسَنُ ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضلَ ولو تُرِكَ هذا لكانَ أجملَ وهذا من أعظمِ العِبَرِ، وهو دليلٌ علىٰ استيلاءِ النَّقْصِ علىٰ جملةِ البَشَرِ»(٤).

٢- ذَوَبَانُ الشَّخْصِيَّةِ:

شخـــصيةُ الإنـــسانِ سِـــرٌّ وجـــودِهِ ... وبـــدونِها ينهـــارُ مـــن علیائِـــهِ(٥)

---

(١) الإعجازُ والإيجازُ (١١١).

(٢) زَهْرُ الآدابِ للحُصْرِّي القيروانيِّ (١٥٤ - ١٥٥).

(٣) المرجِعُ السابقُ (١٥٤ - ١٥٥).

(٤) محاضراتُ الأدباء (١/ ١٢).

(٥) ديوانُ أحمد سحنونَ رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ١١٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكاتبُ ذو الشخصيةِ البارِزةِ المستقلَّةِ، لا يرضَىٰ بالتقليدِ الكاملِ، أو أَنْ يصوغَ فكرتَهُ علىٰ منوالِ فكرة سَبَقَ إعدادُها، دونَ أن يُضِيْفَ إليها، أو يَنْحُوَ بها منحىً آخَرَ، أو يعالِجَها معالجةً مختلفةً.

٣- الإخلالُ في الأمانةِ العلميةِ في النُّقُولاتِ:

الأمانةُ العلميةُ تقتضي نِسْبَةَ كُلِّ قولٍ إلىٰ قائِلِهِ، وكلِّ جُهْدٍ إلىٰ باذِلِهِ وإِلَّا كان مُتَشَبِّعًا بما لم يُعْطَ.

فعن أسماءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ امرأةً قالتْ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ لي ضُرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ من زوجي غَيْرَ الذي يُعطيني؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**المُتَشَبِّعُ بما لَمْ يُعْطَ كلابِسِ ثوبَيْ زُوْرٍ**»(١).

وقد تُنُوقِلَتْ كلمةُ عَدتْ مثلًا: «مِنْ بَرَكَةِ العلمِ وشُكرِهِ عَزْوُهُ إلىٰ قائِلِهِ»(٢).

٤- الانشغالُ بالمُلْهِيَاتِ:

وَلا يُلْهِيكَ عَنْهُ أنيقُ رَوْضٍ ... ولا خَوْدٌ بزينَتِهَا كُلِفْتَا(٣)

اِعزلْ نفسَكَ عن المُلْهِيات، كالهاتِفِ النَّقالِ، وغيرِه من وسائِلِ التواصُلِ؛ ومواضِعِ الخُضْرةِ، والمُتَنَزَّهاتِ، وحركاتِ الناسِ؛ حتىٰ لا تقطَعَ عليكَ أفكارَكَ، وسخِّرْ جُهدَكَ، ووْقَتَكَ للكتابةِ؛ فالكتابةُ لَنْ تُعْطِيَكَ بعضَها حتىٰ تُعْطِيَها كُلَّكَ.

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٥٢٢٩).

(٢) المُزْهِرُ (٢/ ٢٣١).

(٣) مجموعاتُ القصائِدِ الزهدياتِ (١/ ٧٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- الوقيعةُ في العلماءِ:

العلماءُ هم وَرَثَةُ الأنبياءِ فالوقيعةُ فيهم من أكبر الذنوبِ وفاعِلُ ذلك لا يُفْلِحُ أبدًا.

قال شارحُ الطحاويَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَيَجِبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ بعد موالاةِ اللهِ ورسولِهِ موالاةُ المؤمنين، كما نَطَقَ به القرآنُ خصوصًا الذين هم وَرَثَةُ الأنبياءِ الذين جَعَلَهم الله بمنزلةِ النجومِ يُهْتَدَىٰ بهم في ظلماتِ البرِّ والبَحْرِ، وقد أجمعَ المسلمون علىٰ هدايتِهم ودرايتِهم، فإنهم خلفاءُ الرسولِ في أُمَّتِهِ، والمُحْيُون لما ماتَ من سُنَّتِهِ، فبهم قامَ الكتابُ وبه قاموا، وبهم نَطَقَ الكتابُ وبِهِ نطقوا، وكلُّهم مُتَّفِقون اتفاقًا يقينًا علىٰ وجوبِ اتِّباعِ الرسولِ ﷺ، ولكنْ إذا وُجِدَ لواحِدٍ منهم قولٌ قد جاء حديثٌ صحيحٌ بِخِلافِهِ فلا بُدَّ لَهُ في تركِهِ من عُذْرٍ».

وجِماعُ الأعذارِ ثلاثةُ أصناف:

أحَدُها: عَدَمُ اعتقادِهِ أن النَّبيَّ ﷺ قالَهُ.

والثاني: عَدَمُ اعتقادِهِ أَنَّهُ أرادَ تلك المسألةَ بذلك القولِ.

والثالثُ: اعتقادُهُ أَنَّ ذلك الحكمَ مَنْسوخٌ[١].

ويَحْسُنُ الترحُّمُ علىٰ العلماءِ عند ذكرِ اسْمِهم أو النَّقْلِ عنهم، قال رِزْقُ التميميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَقْبُحُ بكم أَنْ تستفيدوا مِنَّا، ثم تذكرونا فلا تَتَرَحَّموا علينا»[٢].

---

(١) شرحُ الطحاويةِ لابنِ أبي العِزِّ الحنفيِّ (٤٩١).

(٢) سِيَرُ أعْلامِ النُّبلاءِ (١٨/ ٦١٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦- عَدَمُ الاستعدادِ النَّفْسيِّ:

مَنْ رامَ التأليفَ فعليه بالاستعداد النفسيِّ، ومن الاستعداد النفسيِّ أن يُوْليَ نظافةَ البَدَنِ والمكانِ عِنايةً بالغةً فيتنظف ويتطيب ويهتمَّ بِخِصالِ الفِطْرةِ والسواكِ، ويهيِّءَ مكانًا طيبًا نظيفًا ويستعملَ فيه الطيبَ أو البخورَ، وأن يبتعدَ عن المشاكِلِ والمُكَدِّراتِ، والمُنَغِّصاتِ، وأن يهتمَّ بِصِحَّتِهِ بتناولِ الطعامِ الصحيِّ وممارسةِ الرياضةِ ولو لدقائقَ معدودةٍ ويعطيَ نفسَه حَظَّها من الراحةِ.

وقد يَظُنُّ ظَانٌّ أنَّ هذا تَكَلُّفٌ لا داعِيَ له، والحقيقةُ أن التأليفَ كما يُقالُ معاناةٌ ولَذَّةٌ.

أما معاناةُ التأليفِ فمِنْ وجوهٍ كثيرةٍ منها: كدُّ الذِّهْنِ، ومعالجةُ العَزْوِ، والتأكُّدُ من صِحَّةِ المعلومةِ، وكَثْرَةُ المراجعةِ، والحَذَرُ من الزَّلَلِ، والحِرْصُ علىٰ إبرازِ الأفكارِ في مَعْرِضٍ حَسَنٍ، وثوبٍ مقبولٍ.

ومنها ما يَعْتري المؤلِّفَ من المَلَلِ والفتورِ، وصُدَاعِ الرأْسِ، وقِلَّةِ النَّومِ، وتَعَبِ الأعصابِ، والآمِ المفاصِلِ والعينين، والانقطاعِ عن كثيرٍ من الملذَّاتِ والتقصِيرِ في بعضِ الحقوقِ؛ فهذه بعَضُ معاناةِ التأليفِ.

أما لَذَّتُهُ فتكْمُنُ بمناجاةِ الفِكْرِ، واصطيادِ الأوابِدِ، ومعرفةِ المؤلفين السابقين واللَّاحِقين، والتعودِ علىٰ طولِ النَّفَسِ، والحِرْصِ علىٰ الوصولِ إلىٰ الحقائِقِ.

ومن أَعْظَمِ لَذَّاتِ التأليفِ:

استشعارُ نهايةِ البَحْثِ، والفَرَحُ بِطَبْعِهِ، ونَشْرِهِ، وإهدائِهِ، وانتفاعِ الناس به؛ فَإِنَّ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نَفْعَ التصنيفِ كما يقولُ ابنُ الجوزيِّ أكثرُ مِنْ نَفْعِ التعليمِ بالمُشافهة؛ لِأَنَّ الإنسانَ يُشَافِهُ في عُمُرِهِ عَددًا من المتعلمين، ويشافِهُ بتصنيفِهِ خلْقًا لا يُحْصَون، وخلقًا لم يوجدوا بَعْدُ، فيكونُ التأليفُ من الباقيات الصالحات.

وإنَّ لانتظارِ مَجيءِ الكتابِ من المطبعةِ فرحةً تُشْبِهُ فرحةَ انظارِ المولودِ الجديد وتَكْمُنُ لذةُ التأليفِ كذلك باستجماعِ الخواطِرِ، والخلوةِ عن الناس[1].

فإذا كان الأَمْرُ كذلك فَيَحْسُنُ الاستعدادُ النَّفْسِيُّ ومنها ما تقدَّمَ ذكرُهُ من نظافةِ البَدَنِ والمكانِ.

(١) خواطِرُ للحَمْدِ (١٨٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خاتمةُ الكتابِ

وإذا افتتــاحُ الأمــرِ راقــكِ حُــسْنُهُ فتبينــي مــاذا تكــونُ الخَاتِمَــه[١]

بعد هذا التطوافِ معك في رياضِ الكتابةِ، سالكًا مسلَكَ الاختصارِ، لما عليه النفوسُ من مللِ الإكثارِ، وها أنا أكررُ علىٰ مسامعِك، أَنَّ الكتابةَ ليستْ كغيرِها من الفنونِ، التي لها قواعدُ وضوابطُ؛ وإنما تحتاجُ - فقط - إلىٰ توجيهاتٍ ترشِدُ إلىٰ ما ينهَضُ بها، ويزيدُها تألقًا، وقد فعلْتُ ما أخالُهُ كافيًا شافيًا، فَخُذْ نفسَك به، وعْدْ إليه بين الحين والآخَرِ، فَمَنْ يقرأُ الكتابَ الواحِدَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، خَيرٌ له من قراءةِ عَشراتِ الكتبِ كُلَّ كتابٍ مَرَّةً واحدةً، ويتأكَّدُ ذلك في الكتابِ الذي يطمَعُ أَنْ يَصِلَ به إلىٰ مبتغاه.

وأرجو أَنْ أكونَ في بحثي هذا كما قِيْلَ: «قد وافَقَ الإِثْمِدُ الحَدَقَةَ، وشَنٌّ طَبَقَةَ».

وختامًا أستودعُك بهذا الدعاءِ:

بقيــتَ مــدَّى الــدَّهرِ وعلمُــكَ راسـخٌ وخيــرُكَ ممــدودٌ وليلــكَ عــامرُ

يــودُّ ســناكَ البــدرُ والبــدرُ زاهــرُ ويقفــو نــداك البحــرُ والبحــرُ غــامِرُ

وهنِّئْــتَ أيامًــا تــوالَى نــشاطُها كمــا تتــوالى في العُقُــودِ الجَــوَاهِرُ

---

(١) ديوانُ كشاجمَ (٤٣٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

المقدمة ٥
تعريفُ الكتابةِ ٧
الكتابةُ لُغَةً: ٧
الكتابةُ اصْطِلاحًا: ٧
٢- هل للكتابةِ قواعدُ؟ ٧
٣- هل الكتابةُ موهبةٌ؟ ٨
٤- فوائدُ صناعةِ الكتابةِ: ٩
البابُ الأوَّلُ الوسائلُ والأُسُسُ المعينةُ علىٰ صناعةِ الكتابةِ ١٣
الفَصْلُ الأوَّلُ تَلَقِّي ودراسةُ أَهَمِّ علومِ اللغةِ العربيةِ ١٥
المَلَكَةُ اللِّسانيَّةُ: ١٦
٢- معرفةُ قواعِدِ الإملاءِ وعلاماتِ الترقيمِ: ١٧
٣- معرفةُ البلاغةِ: ١٨
كيفَ تحصُلُ علىٰ مَلَكَةِ البلاغةِ؟ ١٨
الفَصلُ الثاني أسبابُ الارتقاءِ بصناعةِ الكتابةِ ٢١
١- الإكثارُ من تلاوةِ القرآنِ الكريمِ وتَدَبُّرِهِ والاعتناءِ بحفظِهِ: ٢١
٢- الإكثارُ من مطالعةِ كُتُبِ السُّنَّةِ: ٢٣
٣- العنايةُ بكلامِ فصحاءِ العربِ وبلغائهم: ٢٤
الفَصْلُ الثالثُ: زادُ الكاتِبِ ٣٤
١- الاطِّلاعُ علىٰ الكُتُبِ المُعِيْنَةِ علىٰ صناعةِ الكتابةِ ٣٤
٢- إدمانُ القراءةِ: ٣٦
٣- القراءةُ لِأَكْثَرِ من كاتِبٍ: ٣٧
الفَصْلُ الرَّابِعُ التَّمَرُّنُ والتوسُّعُ في الكتابةِ مع نَمَطِ كلامِ البُلَغَاءِ ٣٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البابُ الثَّانِي مُهِمَّاتٌ فِي تأليفِ الكُتُبِ ٤١
الفَصْلُ الأَوَّلُ مبادئُ فِي التأليفِ تعريفُهُ - حُكْمُهُ - مَقَاصِدُهُ - فوائِدُهُ ٤٣
أولًا: تعريفُ التَّأْلِيْفِ: ٤٣
ثانيًا: حُكْمُ التأليفِ: ٤٣
ثالثًا: مَقاصِدُ التَّأْلِيفِ: ٤٤
رابعًا: فوائدُ التأليفِ: ٤٧
الفصلُ الثَّاني رَسْمُ خِطَّةِ التَّأليفِ ٥٠
خِطَّةٌ مفصلةٌ للتأليفِ ٥٢
أولًا: مرحلةُ اختيارِ الموضوعِ: ٥٢
ثانيًا: مرحلةُ التقميشِ: ٥٢
ثالثًا: مرحلةُ التَّفْتيشِ: ٥٦
رابعًا: مرحلةُ التَّبْيِيضِ: ٦٣
الفصلُ الثَّالثُ نصائح وتوجيهات ٦٦
أولًا: الأهليةُ قبلَ التأليفِ: ٦٦
ثانيًا: تَخَيُّرُ الوقتِ المناسِبِ والحرصُ على الأوقاتِ: ٦٨
ثالثًا: العنايةُ بالألفاظِ انتقاءً وإيجازًا ٧٠
رابعًا: الأُسلوبُ: ٧٤
خامسًا: الحَذَرُ ممَّا يُشَوِّهُ التأليفَ: ٧٩
خاتمةُ الكتابِ ٨٥
الفهرس ٨٧